عزيــز نسـين



نقلها عن التركية جمال دورمش

منشورات دار علاء الدين

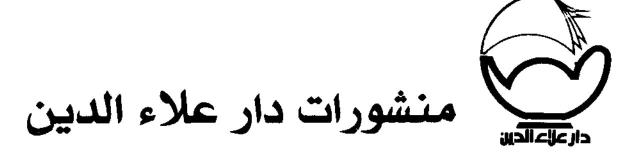


خصيصاً للحمير

عزيز نيسين

خصيصاً للحمير

(مجموعة قصص)



منشورات دار علاء الدين

الطبعة الأولى
دمشق / ١٠٠٠ نسخة

يطلب هذا الكتاب على العنوان التالي:

دار علاء الدين للنشر و التوزيع والترجمة
دمشق : ص.ب / ٣٠٥٩٨
هاتف : ٢٣١٧١٥٨ ـ ٥٦١٧٠٧١
فاكس : ٢٣١٧١٥٩ ـ تلكس : ٤١٢٥٤٥

خصيصاً للحمير

عندما قامت البلدية بهدم بعض البيوت بعد استملاكها بدافع توسيع الزقاق القديم ، برزت كتلة البيوت الخلفية لتصبح على واجهة الشارع .

جلس صاحب إحدى هذه البيـوت ، أو لنقـل " الخشـش " الخشـبية، بصحبة صديقه يحتسيان العرق في "حاكورة " المنزل .

عندما قرأ هذا الصديق القادم حديثاً ، من أمريكا حيث يقيم منذ ست سنوات، ما كُتِب على بقايا نصف جدار متهدم قبالة جلستهم عبارة كتبت بأحرف كبيرة بالقطران الأسود أو بالزفت – "شخمة" خصيصاً للحمـير – استشاط غضباً وقال :

– يا صديقي !.لا توجد بقعة في العالم تتمتـع بمثـل هـذه القـذارة كما هي عندنا .

– إيه !!!، وكيف حلت مسألة التبول على الحيطان إذاً ؟!.

– يا عزيزي في أوروبا أو في أمريكا لا أحد يبول على الجدران .

– حسناً ، وأين يبولون إذاً ؟.

– بيوت الخلاء منتشرة في كل مكان .

– هاه ! ، نعم ... هكذا تعتبر المسألة محلولة .

في تلك اللحظة بالذات اقترب أحدهم من حيث كتبت عبارة "ششمة خصيصاً للحمير " وأخرج .. ليدلق ما في جوفه على الحائط .
عندها علق الضيف قائلاً :

-كأنهم كتبوا عبارة " خصيصاً للحمير " كي يجعلوا من ذلك الجزء من الجدار بيت خلاء للجميع ، أليس كذلك ؟.، بالله عليك، انظر كيف أبعد رجليه ، و أخذ راحته بدون إحراج ... انظر ! ، حتى العبارة كتبت بطريقة خاصة فحرف الحاء أصبح خاءً والخاء حاءً .

– لا تهتم بتلك العبارة ..لأنها كتبت انتقاماً .

– كيف يعني انتقاماً ؟.

– هكذا ، انتقاماً ببساطة تامة ...في هذا المكان بالذات، قبل هدمه، سكن العم طاهر ... وعندما توفي ، قام أخوه ماهر أفندي بكتابة تلك العبارة على نصف الجدار المهدم ، حيث كان من المقرر أن يكون قبراً لأخيه ،وذلك كي تتذمر روح أخيه من رائحة البول ، كلما بال أحدهم على الجدار .. قبل كتابة تلك العبارة لم يفكر أحد أن يقف ويبول ف هذا المكان . أما بعد كتابة عبارة " خصيصاً للحمير " أخذ الرايح والجاي "يبول هناك .

– حسناً ، لكن ماهو سبب حنق وغضب ماهر ـفندي ؟.

– عرفت العم طاهر مذكنت صغيراً.لا يوجد أحدٌ في حينا لا يعرفه .. في هذا المكان بالذات ، حيث بيت الخلاء المكشوف المقام على بقايا الجدار المتهدم ، كانت العمارة مؤلفة من طابقين ونصف، وهذا الجدار هو من

بقاياها .حديقتهاواسعةوكبيرة ، وجدرانها عالية ، ولكي لا تكون عرضة لرغبة اللصوص قام بزرع تلك الجدران العالية بقطع الزجاج المكسر .

فترات طويلة عاشها وحيداً في هذه العمارة . لم يُدخِل أحداً لزيارته في بيته ، لكن على حد قول من حظي بشرف زيارته، أن بيته تحول إلى عنبر للزبالة والنفايات ، أكوام من النفايات موزعة في أرجاء البيت والحديقة .

يخرج العم طاهر من بيته مع شروق الشمس ولا يعود إليه إلافي المساء متجولاً في الشوارع .

- لَمَ ؟.

- هذه شغلته ... صندوق فارغ هنا ، أشياء مرمية هناك ...

كراسي ، طاولات بالية مهترئة .. أشياء مكسرة .. يعني باختصار أنه يعود إلى البيت محملاً بكل هذه النفايات، ليقوم بعدها بتفريقها وتوضيبها ، كل شيء في مكان ...تلة من الزجاج المكسر ... قوارير مكسرة ...قطع من الخشب في ركن من أركان الحديقة ، وفي ركن آخر جبل من "التنكات" الصدئة ... مسامير ..

أما في غرف البيت ، فقد تكدست أكوام من الأقمشة المهترئة ، وأوراق الصحف البالية .. أكياس ورقية مستعملة.... أحذية بالية ، قطع جلود مهترئة ،قصاصات أقمشة ." قناني" فارغة، أغطية "قناني" . إضافة لأشياء وأشياء .

بعدها يقوم العم طاهر ببيع هذه النفايات . حتى أبي اشترى منه ذات

الفحم والحطب !... أقصد بقايا الفحم وقطع الخشب ...

الجميع هنا كان يعاني من فقدان المسامير عندما وضعت الحرب العالمية الثانية ثقلها على منطقتنا ،عشنا يومها أزمة مسامير مخيفة جداً ، وهذه كانت فرصة العم طاهر، إذ باع صناديق من المسامير الصدئة . تلك التي جمعها وقومها ووزعها حسب أطوالها عبر سنوات طويلة نعم باعها بأسعار خيالية .. تصور ثمانية آلاف ليرة في تلك الأيام ! .

- إذاً هو بخيل جداً ؟.

- ماذا تقول ؟... أتظن أن البخل كلمة تصفه بها ، والله لو كان بوله زيت زيتون لما أفرغه في المرحاض كي لا يخسره .

استغربنا جميعاً ذات يوم عندما علمنا بخبر زواجه من صديقة خانم، هكذا .تزوجا فجأة دون إعلام أحد . لأنه لو علم أحد ما بذلك لفعل ما يلزم فعله للحيلولة دون حصول هذا الزواج . فصديقة خانم هذه كعبها "مدور" كما يقولون يلقبونها .بمبرد الرجال ، أرسلت خمسة رجال إلى الجبانة بعدما تزوجتهم ، وهي ما شاء الله، مازالت قوية .. مثل المسن الذي يشحذ عليه الحلاق موسى الحلاقة، عدا عن ذلك لديها ابن يلقب بـ "ناللي قصابي " ، هذا الولد شخص مرعب ، تصور أن كل من يذكر اسمه ترتعد فرائصه خوفاً .

- ماذا يعني ناللي قصابي ؟... أكنيته ؟...

- اللعنة عليه وعلى اسمه وعلى اسم أبيه ، لا أحد يعرف اسمه ولا فصله ، هنا كل واحد ينعته بذلك . أطلق عليه هذا اللقب لأنه يذبح

الحيوانات ذات الحافر ، البغال التي أكل الزمان عليها وشرب مـن شـدة مـا قطرت من عربات عسكرية ، أو دواب اهترأت حوافرها من الهرم ، الحمـير الجربانة المرمية في زوايا الأزقة و البغال المشردة ، نعم يذبحها ويبيـع لحمهـا على أنها لحم ضأن طري، لذلك أطلق عليه هذا اللقب .

إن زواج صديقة من العم طاهر كان طمعـاً بأموالـه ، وهـذا واضـح ، وعلىما يبدو فإن الأم وابنها اتفقا علـى التخلـص منـه ،ومـن ثـم التصـرف بأمواله ... وإلا ماذا يعني زواجها من رجل تجاوز السبعين هاه؟! ..

للعم طاهر أربعة أشقاء و لا أحد يعرف عنهم شيئاً ، لكن عندما سمعوا نبأ زواج أخيهم من هـذه البليـة ظهـروا مثـل العفـاريت ليقولـوا إن أخانـا ليس مسؤولاً عن تصرفاته ، لا يعي ما يفعل ، لذلك فإن مشـورته باطلـة . وما بني على باطل فهو باطل، أي زواجه باطل، وبما أننا أوصياء عليه لذلك من المفترض أن نكون الأعين و الآذان و الأيدي التي تحرس أمواله و أملاكه وبضائعه وتصونها من الطامعين ،كذلك نطلب تحويله إلى مشفى الأمـراض العقلية .

نعـم !.. أليـس مجنونـاً ذلـك الـذي يـتزوج بعدمـا حـافظ علـى رجاحة عقله سبعين عاماً ؟ ..

- حقيقة هكذا ...

على ما يبدو فإن المحقق كان يعاني من زوجتـه مـا يعانيـه، لذلـك فقـد وافقهم على طلبهـم فـوراً، وقـرر تحويـل العـم طـاهر إلى مشـفى الأمـراض العقلية ، للكشف على قدراته العقلية . أما صديقة خـانم فقـد صعقـت مـن

موقف أشقاء زوجها ،كيف دفعهم طمعهم بأمواله إلى اتهامه بالجنون ، لذلك كتبت معروضاً تثبت فيه رجاحة عقل زوجها .

وهكذا ،راح الطرفان يحاولان الاستحواذ على أموال العم طاهر، أحدهما يعمل على إثبات جنونه ، أما الآخر فيحاول إثبات رجاحة عقله . وهذا يعني أنه لو ثبت جنون العم طاهر فصديقة هانم وابنها ناللي قصابي سيطردان من البيت .

و أخيراً استطاعت صديقة خانم الانتصار على الأخوة الأربعة ، بحصولها على تقرير طبي يبين فيه رجاحة عقل العم طاهر، وبذلك لم يبق أمام الأخوة إلا أن يختفوا كما ظهروا مخلين الميدان لها.

وهكذا راح سكان الحي يترقبون نبأ مقتل العم طاهر . كلما رأوه صباحاً قالوا " آه !!!.. لم يُقتَل بعد "....

لم تستمر الأيام الحلوة بعد هذا الزواج المتأخر . إذ مات العم طاهر . لكن ، ميتته لم تكن على يد زوجته أو ابنها ناللي قصابي بل مات في حادث باص .

ذات يوم قال لزوجته : أشقائي ذئاب كاسرة ، أعرف أنهم سيضايقونك وينهشون لحمك فيما لو مت . لذلك سأعمل على شراء قطعة أرض كي أسجلها باسمك .. في مدينة " أسكي شهر " قطعة أرض معروضة للبيع " لقطة بمئة ألف ليرة فقط " لكن المشكلة أنني لا أملك سوى ثمانين ألف ليرة،آه لوكنت أملك عشرين ألف ليرة أخرى لاشتريتها لك.

عندما سمعت صديقة خانم ما قاله زوجها قالت بينها وبين نفسها هذه فرصتك.

لذلك باعت كل ما لديها من أشياء ذهبية كالأساور والأقراط والقلائد .ثم أضافت كل ما ادخرته حتى أتمت المبلغ إلى العشرين ألفاً وأعطتهم لزوجها . لكن ألم ينقلب الباص الذي استقله العم طاهرعندما اتجه إلى " أسكي شهر" ومات أكثر من نصف الركاب محترقين ؟!!...

قدم شخصان غريبان ليقولا لها "البقية بحياتك طاهر أفندي ..." وليعلماها بالحادث .

انهارت صديقة خانم تماماً مما سمعت .. إلا أنها هرعت إلى مكان الحادث ،كي تنقذ العشرين ألفاً، فيما لو لم تستطع إنقاذ المبلغ كله ، لكن آمالها تبددت عندما لم تستطع التعرف على جثة العم طاهر،لأنها فقدت معالمها بسبب الحريق مثل كل الجثث.

ومع ذلك ظلت صديقة خانم متفائلة لأن لديها العمارة التي تسكنها ، المؤلفة من طابقين ونصف .

ولما بدأت بمعاملة حصر الإرث ،كان قلبها سيتوقف حينما وجدت وصية العم طاهر مصدقة من الكاتب بالعدل التي كتبها قبل زواجه متنازلاً بموجبها عن كل أمواله المنقولة وغير المنقولة لأشقائه الأربعة ..وما كان أمامها إلا أن ترفع دعوى كي تثبت بطلان الوصية لعدم أهلية زوجها العقلية عندما كتب تلك الوصية .

– يعني أن الأمور أخذت تسير بالعكس فالزوجة التي كانت تحاول إثبات رجاحة عقل زوجها تعمل الآن على تبيان جنونه.

- نعم .. ولهذا السبب خسرت الدعوى ، مسكينة صديقة خانم خسرت الميراث وطارت العشرين ألف ليرة ، وهكذا لملمت أشياءها و"طلعت من المولد بلا حمص" . أتعرف ماذا حصل بعد ذلك ؟.

- تزوجت مرة ثانية .

- نعم ، لكن في هذه المرة ، لكي تحصل على الميراث ، تزوجت شاهر أفندي شقيق العم طاهر ، ونزولاً عند رغبتها عرضوا العمارة للبيع . إلا أنه تبين وجود إشارة رهن على البيت . ولكي يزيلوا تلك الإشارة عليهم تسديد مبلغ ثلاثين ألف ليرة ، لكن من أين يا حسره جميعهم من ذوي الدخل المحدود وظروفهم المادية صعبة جداً .. قلة وذلة.. لذلك راحوا يلعنون أخاهم" قاتلك الله أيها الديوث البخيل " وكما تعلم فإن تأمين مثل هذا المبلغ ليس بالشيء السهل ، باعوا كل ما لديهم من حوائج وأشياء واستدانوا حتى أزالوا إشارة الحجز .

ولما عرضوا البيت ثانية للبيع ، ظهر شخص آخر وبيده مستند يثبت بأن العم طاهر قد استدان منه مبلغاً من المال . لعنوه ثانية " لعنة الله عليك أيها البخيل القذر " ، ومع ذلك استدانوا من هنا ومن هناك ودفعوا مبلغ ثمانية عشر ألف ليرة دين العم طاهر .

تقدم أحدهم ليشتري البيت ،وعرض خمسين ألف ليرة.أي مبلغ هذا؟!.. لوحسبنا ما دُفع لبقي لكل واحد منهم خمسمئة ليرة تقريباً.

في تلك الفترة تماماً صدر قرارمن البلدية يقضي باستملاك البيت المذكور. يومها طار الأخوة فرحاً عندما علموا أن البلدية خمنت البيت .بمئة

وعشرين ألف ليرة . اقترح ماهر أفندي على أخوته بناء قبر لأخيهم تخليداً لذكرى العم طاهر.. نعم وافقه الجميع ، وقرروا ذلك ، لكن المفاجأة الكبرى كانت هي ظهور العم طاهر .

- ولك .. ألم يمت ؟!!..

- هل يموت بخيل مثل هذا ؟!... تصور أنه من شدة بخله أبى أن يعطي روحه لعزرائيل .

وهكذا انطفأت فرحة الأشقاء في مهدها . عندما سألوه أين كنت طوال الأشهر السبعة قال لهم أنه كان في زيارة للأناضول وأنه لم يذهب يومها إلى "أسكي شهر" ، حتى أنه لم يستقل ذلك الباص يوم الحادث . بعد ذلك ما نفع لو قامت صديقة خانم بشد شعرها ، ولطم خديها ، أو ناحت وركعت على ركبتيها ،حتى لو قالت " عاد حبيبي، عاد زوجي " ، أساساً لن يصدقها خاصة بعدما تزوجت شقيقه بعد وفاته .

- إيه وماذا عن العشرين ألف ليرة ؟.

- قال لها "هذا المبلغ أمانة في عنقي وأنا لا أتهرب من ديوني لكن ، سأدفع عندما أتمكن من ذلك فأنا رجل صاحب حق وضمير وناموس ".

وهكذا طرد صديقة خانم وأشقاءه الأربعة من بيته وهو يقول : الحمد لله تخلصت من رهن البيت ووفيت جميع ديوني " ومن ثم استلم بدل الاستملاك من البلدية .

زاهر أفندي ، أحد أشقائه ، لم يتحمل موقف عودة أخيه حياً فقلبه كان أضعف من ذلك ، مات تاركاً وراءه بحراً من الديون ، أملاً منه أن

تفرج عليه ، لذلك فهو أكثر من كان ينعت أخاه بالبخل .

أما فاخر أفندي ، ذلك الذي كان همه إثبات حنون أخيه فقد حن هو وأدخل " العصفورية" .

صديقة خانم ، تلك التي تزوجت شاهر أفندي كي تلتهم الميراث قالت متحججة " لا أستطيع الاهتمام بهذا العجوز " لذلك أدخلته دار العجـزه . أما ماهر أفندي صاحب فكرة تكريم العم طاهر ببنـاء قـبر لـه في البيـت . فيما لو قبضوا بدل الاستملاك، فهو الوحيد الذي استحوذعلى الميراث لأنـه الوحيد الذي بقي في الميدان.. ،خاصة أن العم طاهر قد مـات بعـد فـترة في الغربة . وحسب ما سمعنا فإنه ورث مبلغاً ضخماً ، وعندما تهدمت العمارة عمل بشكل أو بآخر ، أو قد يكون رشا أحدهم كي يتركوا لـه جـزءاً مـن الجدار ..

- لِمَ؟.

- كي يبقى ذكرى من أخيه ... وبسـبب هـذا الجـدار لم يعـد يفـارق هذا المكان .. كل عشرة دقائق يقف ووجهه للجدار كي يبول .. أيعقل أن أن يبول الشخص كل عشرة دقائق ؟..

بالتأكيد لا..سألوه أحـابهم : أقـوم بذلـك كدعايـة حيـة كـي أشـجع الجميع كي يبولوا في هذا المكان .

ورغم ذلك لا أحد يبول هنا، لذلك بقي وحيداً .

نصحه أحدهم ، أنه إذا كان يريد أن يجعـل مـن ذلـك المكـان بيـت خـلاء مكشوفاً للجميـع ، فما عليه إلا أن يطلي ذلك الجزء من الجـدار ومن ثـم

يكتب عليه عبارة – "ششمه " خصيصاً للحمير – .

وذات يوم تنفيذاً لتلك النصيحة ، وضع ماهر أفندي السلم على الجدار، وراح يكتب بالقطران الأسود – "ششمه " خصيصاً للحمير – طبعاً كتبها بشكل غير صحيح، وعندما أشرت له يومها إلى مواقع الأخطاء قال لي :

" أعرف ذلك ، وهي مقصودة كي يعرف الجميع أن هذا المكان بيت خلاء حقيقي " وهكذا منذ ذلك اليوم أصبح هذا المكان بيت خلاء للعموم، وكل من مر وقرأ تلك العبارة وقف وأخرج ... وبال مجبراً ، حتى لو لم تكن لديه الرغبة في ذلك كأنه سينال ثواباً..

كثيراً ما كان أخوه ماهر أفندي يردد عبارة " كنت سأقيم له في هذا المكان قبراً ، أما ما عملت فهو ما يليق به كي تنتعش روحه القذرة برائحة البول الكريهة " .

نعم حتى أنا فلا أستطيع الاقتراب من ذلك المكان بسبب الرائحة الكريهة .

لما سمع ماهر أفندي بقرار البلدية في توسعة الطريق قال لهم : هناك من يقوم بعمل خيري كبناء مسجد أو افتتاح منهل ماء أو مدرسة ، أما أنا فسوف أبني، فيما لوسمحتم لي،بيت خلاء للعموم كي يبول "الرايح والجاي " وفي نفس الوقت قدم المعروض التالي " بعد هذا العمر ما نفع المال أو الأملاك ، لذلك من أجل عمل الخير . سأقوم ببناء بيت للخلاء كي أفرح روح أخي " .

كلمة السر

هيصة وبيصة كبيرة اليوم في بيت كنعان باشا ، في منطقة "غوز تبه" .
كنعان باشا أضحى مثل البارود ، لا يمكن الاقتراب منه . وإن كنتم تريدون الحقيقة فهو محق بذلك ، فحفيده أوزتنتش سُرِح من الخدمة العسكرية برتبة ضابط احتياط ، دون أن يُرقّى إلى رتبة ملازم .

أوزتنتش الحفيد هذا،التحق بالخدمة العسكرية برتبة مرشح ملازم ، ومع الأسف ، عاد مسرحاً منها بنفس الرتبة . إذ أنه المسرّح الوحيد من بين ألفي مرشح أنهوا المدرسة العسكرية . لهذا السبب ، لم يستطع كنعان باشا تصور الموقف بأي شكل من الأشكال .

أستلم كنعان باشا . قبل عودة حفيده بعشرة أيام ، رسالة من الجنرال قائد وحدته. هذا الجنرال صديق قديم للباشا ، عدا عن ذلك فقد كان - هذا الجنرال- قائد كتيبة برتبة نقيب عند الباشا ، وأفضاله عليه كثيرة لا تعد ولا تحصى. لذلك كان يحترمه ويجله ،ولعل هذا هو السبب الذي دفع بالجنرال لإرسال رسالة لقائده القديم ، يعتذر من خلالها عن قرار تسريح حفيده من الخدمة العسكرية على الرغم من كل محاولاته . صعق الباشا من هول ما قرأ في الرسالة .فهو الذي لم يلتمس أحداً لمسألة ما في حياته ، وفي نفس الوقت ، لم يسمح لأحد أن يلتمسه .لكن ، كيف أخفق حفيده في

خدمته العسكرية ؟.

جد كنعان باشا كان برتبة باشا ،كذلك حموه وأبو حميه ، حتى أبوه استحق هذا اللقب مرتين في حياته ، المرة الأولى كانت في زمن السلطان عبد الحميد ، وتجاوزها ليصل إلى رتبة فريق ، إلا أنه بسبب غضب السلطان ، تم إنزال رتبته العسكرية درجتين إلى رتبة مقدم ، ومن ثم عاود الترقية ثانية ليبلغ رتبة الفريق .

جدران بيته مليئة بصوره المرسومة بالألوان الزيتية.كيفما التفت تشاهد صوره المعلقة . حتى الأماكن الفارغة بين الصور أقحمت بما يحكي عن ذكرياته القديمة ،كالسيوف والأوسمةوشهادات التقدير و بعض الفضيات .

إذن كيف يفشل هذا الحفيد في حياته العسكرية ؟!.وهو الذي ترعرع في كنف جده وفي ظل هذا البيت ،خاصة أنه الحفيد الخامس والأخير، والأنكى من ذلك كله أنه أحبهم إلى قلبه ؟ .

هذه الأسباب مجتمعة ، دفعت الباشا كي يغضب .

وجد كنعان باشا ، منذ إحالته على المعاش ، ما يملأ به وقت فراغه . زرع الأشجار المثمرة ، بعدها أخذ يعتني بها ،كذلك راح يربي الدواجن والديك الرومي . يهيئ لها الطعام ، ويعتني بها ، وبعد يوم عمل طويل يقوم بإطلاق هذه الدواجن إلى الرابية المجاورة .

كل شيء في البيت يخضع لنظام صارم ، القلاطق والكراسي والطاولات ، لأن الإخلال بالنظام يغضب الباشا ، حتى الأحذية يجب أن توضع مرتبة في خزانتها. وبموجب هذا النظام .على الجميع معرفة موضع

الأشياء في البيت .

عندما يسأل الباشا أحدهم أثناء الطعام عن قلمه ، يجب أن تكون الإجابة :

- في جيب ردائي الأيمن .

- وماذا في الجانب الأيسر ؟.

- محفظة نقودي.

كل شيء في البيت معروف ،حتى كل ما يملكه أي واحد ،حتى القطط تم تدريبها وتعليمها على النظام . متى يمكن أن تتفسح ،ومتى يجب أن لا تموء ،باختصار يمكن القول إن كنعان باشا استطاع أن يفرض نظاماً صارماً واحداً على الجميع .

على الجميع دخول غرف النوم الساعة العاشرة مساءً والاستيقاظ صباحاً باكراً . رؤية الأحلام ممنوعة ، لذا وجب أن يكون العشاء خفيفاً، وأن يكون الجميع ملتحفاً في سريره بشكل جيد ، وأن لا يرهق المرء فكره وذهنه بأشياء تافهة .

وعلى الجميع الاستيقاظ في السادسة صباحاً .حتى نوعية الطعام تصدر بأوامر يومية ، ماذا يجب أن يحضّر وأن يطهى.

عمل كنعان باشا كثيراً ، وبذل الكثير من الجهد والتعب . حتى استطاع فرض النظام على عائلته " الملخبطة " وعلى الأشجار المثمرة وعلى الحيوانات وعلى القطط في المنزل ، نعم تعب كثيراً لدرجة أنه بسبب التعب

قد أصابه الفالج في الشهر التاسع من خريفه السادس والثمانين ،وهكذا انهار الباشا الهرم .

يده اليمنى ، وقدمه اليمنى ، أخذتا تخونانه ونطقه بات ثقيلاً ، لذلك كان يتكلم بتلعثم واضح . لكن كل ذلك لم يمنعه من مزاولة أعماله في المنزل .مستنداً بيدٍ على عكازه ، وبالأخرى على الجدار ودرابزين السلالم مجرجراً جسده المتثاقل ،حتى أنه كان يوقظ من لم يستيقظ بعد السادسة صباحاً ، بطرق عكازه على الأبواب ، مصدراً أوامره بلسانه المتلعثم ، داعياً الجميع كي ينفذوا أوامره مرتجفين خوفاً ورعباً .

في هذه الظروف تحديداً ، بلغه نبأ تسريح أحب أحفاده إليه من الخدمة العسكرية . غضب كثيراً ، ولشدة غضبه أغلق الباب على نفسه محتجباً لمدة يومين متتاليين .وخلال هذين اليومين ، افتقد البيت للنظام ، وأصبح كنابض مشدود خرج من مكانه .راح البعض يسهر حتى الثانية عشر ليلاً،والآخر ينام إلى ساعات متأخرة من النهار .

حتى الصور المعلقة على الجدران ، فقدت توازنها داخل أطرها ، علماً أنها من أكثر الأشياء التي تثير غضب الباشا .

تصوروا ،كلب البيت لم يعد ينبح في موعده ،كذلك الديكة راحت تصيح في غير أوانها ، وصوت جرجرة الكراسي والقلاطق تغير .

إلا أن هذه الفوضى لم تستمر أكثر من يومين فقط . فقد توقفت وانتهت بخروج كنعان باشا من غرفته ، وبذلك عاد كل شيء على ما كان عليه .

عاد أوزتنتش إلى البيت.يومها صرخ الجد الذي يحب أوزتنتش كثيراً

- أبعدوه عني ولا تدعوا عيني تريانه .

خشي الجميع على كنعان باشاً ، خافوا علـى قلبـه أن تصيبـه مصيبـة. جميع سكان البيت توسل إليه كي يسامحه ويعفو عنـه ، إلا أن كـل قسـوة العسكري القديم انصبت على رأس الحفيد .

أما أوزتنتش ذلـك الشـاب النحيـف ، مثـل قضيـب الفـولاذ ، النـاعم كالوبر ، فقد طلب فرصته في توضيح الأمر وشرح موقفه قائلاً:

- من الضروري أن يستمع جدي إلى وجهة نظري ، وليعاقبني بما يشاء فيما لو كنت مخطئاً.

التأم مجلس العائلة في الصالة الكبيرة من البيـت ليسـتمعوا إلى أوزتنتـش مقررين أن يتجهوا إلى كنعان باشا ، ليتدخلـوا فيمـا لـو لم يكـن أوزتنتـش مذنباً في تسريحه وعدم ترفيعه ..

اجتمع في الصالة أربعة عشـر شـخصاً بـين نسـاء ورجـال ، تحلقـوا حـول طاولـة كبـيرة ترسـها مـن المرمـر ، وعلـى الجـدران تحلقـت صـور الباشاوات ، وكأنهم يراقبون أعمال مجلس العائلة .

- هيا قل واشرح موقفك يا بنيّ ؟.

سائل هذا السؤال هو العم، شقيق جده الأصغر ذو الثمانين عاماً .

راح أوزتنتش يشرح لهم : - لا أحد هضم حقي ، ولا أحد أخطأ بحقي ،وهم محقون بعدم ترقيتي ، لكن لا ذنـب لي بذلـك فكـل مـا حصـل كان بسبب "زيللي عمر علي" .

كان الشاب يتحدث بصوت متهدج مرتعش وكأنه سيبكي .

سأله عمه :

- " زيللي عمر علي "؟ ومن هو هذا ؟.

- زيللي عمر علي جندي في وحدتي ، وكل ما حصل لي بسببه ، و إلا فجميع رؤسائي يحترمونني ويحبونني ، ويشهدون بأنني لم أقصر في أداء الواجب ، ولا مرة واحدة حتى كذلك كنت المبرز في جميع التفتيشات العسكرية ،عملت على محو أمية من لا يجيد القراءة والكتابة، لذلك لا تجد في وحدتنا جندياً واحداً لا يجيدهما ، وفي الرماية جميع جنودي حصلوا على أعلى الدرجات . والله يا عمي عملت ليل نهار لأجل ذلك...

قاطعه عمه قائلاً :

- نعرف ذلك ، أساساً قائدك الجنرال وضح ذلك في رسالته ، إلا أنه لم يذكر أسباب عدم ترقيتك . قد تكون أخطأت خطأً فاضحاً . هيا قل لنا عن الأسباب .

- قبل تسريحي بشهر خرجنا إلى مناورة عسكرية . جنرالنا ـ بسبب معرفته بجدي ـ أتبعني وأفراد وحدتي بمركز القيادة ،بمجموعتنا أثناء المناورة سميت بالمجموعة الحمراء . وهكذا راح بجندو وحدتي يحرسون مركز القيادة في الليل ،وفي كل ليلة كنت ألقنهم كلمة السر واسم الإشارة وهما تتبدلان يومياً . و عندما يصادفهم أحدهم في الليل يأمرونه بالوقوف ويطلبون منه كلمة السر من يعرف كلمة السر يُطلب منه " اسم الإشارة" وعندما يعرفهما فهذا يعني أنه من المجموعة الحمراء ويسمح له بالمرور .

هذا الـ " زيللي عمر علي " كان مشرفاً عن الجنود .

ذات ليلة جمعتهم جميعاً قبل المغادرة إلى الحراسة الليلية وقلت لهم :

- اسمعوا جيداً كلمة السر لهذه الليلة " المطر "، واسم الإشارة "المرأة".

أفهمتم ؟.

ردد الجميع قائلاً :

- فهمنا يا سيدي

-كرروا ثانية . كلمة السر؟.

صاح الجميع بصوت عال :

- المطر .

_ و اسم الإشارة ؟ .

ردد الجميع بصوت عال :

- المرأة .

- إياكم وأن تنسوهما وكل من لا يعرف كلمة السر واسم الإشارة فهذا يعني أنه من المجموعة الزرقاء انتبهوا .هاه ... ، حتى أنا ، يجب أن لا تسمحوا لي بالدخول دون ذكر كلمة السر هاه! أفهمتم ؟.

- فهمنا يا سيدي .

لقد اخترت هاتين الكلمتين" المطر و المرأة " لسهولتهما ولا يمكن نسيانهما . غطى الظلام أرجاء المنطقة ، كل جندي غادر إلى محرسه . في منتصف الليل طلبت من زيللي عمر التوجه إلى مركز القيادة للاستفسار عن أية توجيهات جديدة طبعاً.

توجه عمر علي إلى مركز القيادة وأنا اضطجعت على سريري لكـن لا أدري كيف أخذني النوم . فجأة استيقظت وإذا بأشعة الشمس قد غطـت أرجاء المنطقة كلها ، و لم يبق فيها سـوى خيمـتي وأفـراد مجموعـتي .عمـر علي يقف عند أحد المحارس وهويقول للحارس :

- دعني أمر . هناك ما هو هام . علي تبليغ قائد مجموعتنا .

يرد عليه الحارس قائلاً :

- حتى لو كنت ابن أبي فلن أسمح لك بالمرور ما لم تذكر كلمة السـر و اسم الإشارة.

- ألم أذكرهما لك عند المساء؟.

صرخ الحارس بأعلى صوته :

- كلمة السر ؟.

- الغيث .

- لا .. ليس كذلك .

- واللـه يا أخي الغيث

- هيا وما اسم الإشارة ؟.

- " الحرمة " .

- لا .. ليس كذلك .

ليلتها أُرسِل لي أمر خطيٌ مـع الحـارس مفـاده " علـى جميـع القـوات التأهب في الساعة الثالثة صباحاً لملاحقة المجموعة الزرقاء " وعمر علي حمـل الأمـر المذكـور ، إلا أن الحـارس لم يسـمح لـه بـالمرور ، لذلـك لم يسـتطع

إبلاغي بالأمر الصادر ، وهكـذا راحـا يتجـادلان علـى كلمـة السـر واسـم الإشارة حتى الصباح .

-كلمة السر؟.

- الغيث.

- لا .. ليس كذلك ... اسم الإشارة ؟.

- " الحرمة ".

- لا...

وهكذا أمضيا الليل بطوله يجمعهما حوار الطرشان . غادر الجميع و لم يبق في الميدان إلا..

انتفض الدم في أعلى رأسي .. هرعت إلى عمر علي مؤنباً إياه صارخـاً بأعلى صوتي :

- ألم أقل لكم أن كلمة السر هي المطر و اسم الإشارة "المرأة " ؟ .

أجابني :

- وأنا قلت كذلك ومع ذلك لم يدعني أذهب .

- ماذا قلت ؟ ..

- كلمة السر " الغيث " واسم الإشارة " الحرمة " ..

- لا ليس " الغيث " إنما المطر .

- يا سيدي كل الطرق تؤدي إلى الطاحون ، أليس الغيث هو المطر؟.

جمعت وحدتي ثم رحنا نفتش عن مجموعتنا ، و أخيراً وبعـد سـت سـاعات مـن البحث في السهول وجدنا المجموعة . أعلمت الجنرال بالواقعة .

رد علي مبتسماً :

- أتمنى أن لا يتكرر ذلك .

ليلتها جمعت أفراد وحدتي و قلت كلمة السر لهذه الليلـة " الثـور " و اسم الإشارة " الثياب " إياكم والنسيان . لا تدعـوا مـن لا يعـرف كلمـة السر و اسم الإشـارة يمـر حتـى لـو كنـت أنـا ، هيـا رددوا سـوية ، كلمـة السر؟.

- الثور

- الإشارة ؟.

- الثياب .

وهكذا طلبت منهـم تكرارهمـا ثـلاث مـرات . علـى الرغـم مـن أنـي اخترت لهم كلمات سهلة .

تفرق الجميع كل إلى محرسه , عمر علي ، أرسـلته إلى مركـز القيـادة لتلقي الأوامر الجديدة فيما لو وجدت .

استيقظت صباحاً وإذ بنـا ثانيـة لوحدنـا في المنطقـة وثانيـة عمـر علـي يتجادل مع الحارس .

- كلمة السر ؟.

- الجاموس .

- كلمة السر ؟.

- واللـه الجاموس .

- لا .. اسم الإشارة ؟.

- الملابس .

ثانية وهما يتجادلان مثل الطرشان طوال الليل.

ركضت وصرخت بعمر علي " ألم أقل لكم أن كلمة السر "الثور" ؟.

- يا سيدي كلها تودي إلى نفس الباب فالجاموس والثور واحد أليس كذلك ؟.

- ألم أقل لكم أن اسم الإشارة "الثياب ".

- يا سيدي أنت قلت ، وأنا قلت له " ملابس " .

جمعت أفراد الوحدة ثانيةوخرجنا.عند المساء تقريباًوحدنا المجموعة . شرحت الموقف أمام الجنرال إلا أنه لم يضحك هذه المرة .

ليلتها كلمة السر كانت " الموت " والإشارة " السرير " قلت بيني وبين نفسي لتكن الكلمات واضحة وسهلة حتى لا ينسوهما . لم أنم تلك الليلة بل ترصدت له قرب المحرس الذي من المفترض أن يمر من جانبه ، بعد لحظات تراءى خيال شخص قادم .

صرخ الحارس به :

- كلمة السر ؟.

- الوفاة .

- لا.. الإشارة ؟.

- الفراش .

- كلاهما غلط .

هرعت من مكاني وصرخت :

- هيا ادخل .

يومها أعفيت عمر علي من مهامه وكلفت غيره بها ، وهكذا سارت الأمور بشكل طبيعي لأنه كان الوحيد الذي كان ينسى دائماً كلمة السر والإشارة ويورطنا بمشاكل عويصة .

في الليلة الأخيرة من المناورة أعلمتهم أن كلمة السر هي "الببغاء" والإشارة الرأس .

جميع الحراس أخذوا أماكنهم وعمر علي بعدما أعفيته من مهامه كان حارساً في النقطة التي تقع أمام مركز القيادة مباشرة .

قدم مراسلي ليبلغني أن الجنرال يطلبني

خرجت من خيمتي في حوالي الساعة الحادية عشر :

صرخ الحارس طالباً مني الوقوف وقال:

- كلمة السر ؟.

عرفته من صوته أنه عمر علي لكن ثمة مشكلة تساورني باستمرار وتتجلى في نسيان الإجابة فيما لو سئلت بشكل مفاجئ حتى لو كان السؤال عن اسمي .

حاولت الخطو في الظلام خطوتين إلا أنني نسيت كلمة السر عندما زلزل أحشائي بصراخه :

- كلمة السر ؟.

حقيقة كنت أعرف أن كلمة السر هي الببغاء إلا أنني نسيتها تماماً.

راح عمر علي يكرر على مسامعي :

- كلمة السر

صرخت به :

- ولك يا عمر علي أنا قائد المجموعة .

- أعرف يا سيدي ، أنك قائد مجموعتنا ، لكن دون كلمة السر لن أسمح لك بالمرور ، هكذا هي أوامرك .

كلماته محت كلمة الببغاء من ذاكرتي بتاتاً

- ولك عمر علي ألست قائدك ؟.

- نعم أنت سيدي يا سيدي . لكن قف بمكانك ولا تتحرك . دون ذكر كلمة السر لن أدعك تمر .

في ليلة سابقة سبق وان عاقبت أحد الجنود لسماحه لي بالمرور دون ذكر كلمة السر لذلك فعمر علي كان يظن أني أقوم بهذا الدور كي أمتحنه .

- ولك يا بني ، يا عمر علي ، دعني أمر فالجنرال يطلبني .

- لن أدعك يا سيدي ، حتى لو طلبك المرشال ، هيا أعطني كلمة السر واذهب إليه .

خيمة الجنرال لم تكن بعيدة عن خيمتي فالمسافة كانت حوالي خمسين متراً . وعندما لا حظ الجنرال تأخري في تلبية أوامره خرج من خيمته وصرخ بأعلى صوته :

- ملازم احتياط أوزتنتش .

أجبته بأعلى صوتي :

- قادم يا سيدي .

- بلا كلمة السر لن تستطيع الذهاب إلى أي مكان يا سيدي .

- يا بني يا ...

- أعرف أنت سيدي يا سيدي ، ومع ذلك لن أدعك ما لم تذكر كلمة السر .

- يا عمر علي ، كلمة السر على رأس لساني لكني لا أستطيع تذكرها.

ثانية خرج الجنرال من خيمته وصرخ قائلاً :

- ملازم احتياط أوزتنتش !.

- قادم يا سيدي .

- لا تتحرك ابق حيث أنت .

- يا بني ، يا عمر علي ..

- نعم يا سيدي ؟.

- " يا هو " كلمة السر على رأس لساني .

- طالما هي على رأس لسانك إذن اذكرها واذهب .. كلمة السر؟.

- " هاي اللـه "... كانت عصفور ... واللـه اعرفها ،كن لا أتذكرها .

أثناء ذلك خرج الجنرال يلعلع غضباً وصرخ بأعلى صوته :

- أوزتنتش ، أين أنت ؟.

- قادم يا سيدي أنا هنا .

- كلمة السر ؟.

- واللـه أعرفهـا يـا عمـر علـي إنهـا " عصفـور " لكـني لم اسـتطع تذكرها.حتى أن فيها حرف الباء .

-كلمة السر ؟.

- عصفور

- لا، ليس كذلك .

- عصفور ناطق ، يتكلم مثلنا .

- كلمة السر ؟.

- عصفور فيه حرف الباء ، عصفور ذو حرف الباء .

- لا، ليس كذلك .

سمعت زمجرة الجنرال وهو ينادي :

- أوزتنتش

- أنا هنا يا سيدي ، قادم .

وهنا صرخت بالحارس :

- عمررر عليبي .

- نعم يا سيدي .

- أما سمعت الجنرال يطلبني .

- ليطلبك يا سيدي ! ، كلمة السر ؟.

- عصفور يوضع في قفص بحجم الغراب فيه حرف باء .. أرأيـت أنـي أعرف كلمة السر .

فرقع الجنرال غضباً :

- ازتنتش !!..

- قادم يا سيدي .

- من أين ؟.

- من هنا .

- هيا تعال .

- تأمر يا سيدي .

التفتُ إلى الحارس وقلت له :

- يا عمر علي ..

- نعم يا سيدي .

- نسيت كلمة السر ، هيا قلها وذكرني .

- والله يا سيدي كنت ذكرتك بها إلا أنني نسيتها .

- طالما أنك لا تذكرها لَمَ لا تسمح لي بالمرور عندما قلت لك "عصفور"؟.

- ليست " عصفور " يا سيدي .. نعم إنها نوع من أنواع العصافير لكن أي نوع ، والله يا سيدي لو ذكرتها لتذكرت مباشرة .

- ولك عصفور ناطق مثلنا نحن البشر بحجم الغراب فيه حرف باء .. عصفور بائي .. غراب .. براب ..

- لا.

- غراب.. براب .. رباب ... بباب .. أرأيت هي على رأس لساني .

خرج أحدهم من خيمة الجنرال واتجه نحونا ..

صرخ عمر علي به :

- كلمة السر ؟.

رد عليه الجندي :

- ببغاء .

عندها صرخت مغتبطاً:

- " أيواه " ببغاء !!.

- الإشارة ؟.

- الرأس .

وأنا بدوري قلت الرأس وسرنا أنا والجندي متقابلين وعندما أصبح بجانبي قال لي :

- يا سيدي . الجنرال لم يعد يطلبك وقال لا تأتِ .

كم كان ذلك اليوم ثقيلاً ... ساعتان أنا وعمر علي نحاول تذكر كلمة السر .. قَدِم أحد الجنود برفقة العريف واستلما الحراسة من عمر علي اتجهت إلى خيمتي . انتهت المناورة .. وبعد أسبوع تبلغت قرار تسريحي ..

هذا هو خطأي فيما لو أخطأت .

سأله عمه :

- حسناً وما هي كلمة السر ؟!.

أجابه أوزتنتش :

- كلمة السر ؟.

- نعم كلمة السر ؟.

- " هاي اللـه"..تواً كنت أذكرها أما ذكرتها لكم قبل قليل يا عمي .

- قبل قليل ؟. وماذا قلت ؟.

- واللـه أعرفها .. عصفور .. فيه حرف الباء ..

- بربر ؟؟.

- لا يا روحي .. عصفور ناطق .. براب ..بباب .. " هاي اللـه".

حاول عمه التخفيف عنه قائلاً:

- ليكن ما يكون .. سنذهب إلى الباشا ونعلمه بما قلت ..

تفرق مجلس العائلة وخرج الجميع إلى الباشا ليعلموه بما حدث .

مستر فشر قادم

- الطقس بارد ، لمَ لمْ تشعلوا المدافيء ؟ - هذا ما سأله المدير لأحد موظفيه. الذي أجابه قائلاً:

- تفحصت جميع المدافيء و" البواري" واحدة واحدة يا سيدي إلا أن جميع "البواري خربانة " وغير صالحة للاستعمال وسنعمى حتماً من الدخان فيما لو أشعلنا المدافئ .

استشاط المدير غضباً :

- لمَ لم تعلموني بذلك من قبل ؟ وهل يعني هذا أننا سنتجمد من البرد هذا الشتاء بسبب هذه "البواري" اللعينة ؟ .. هيا سطر كتاباً بهذا الخصوص .

أخرج الموظف دفتر الملاحظات وراح يخط ما يلقنه مديره :

- السيد مدير الدائرة ، بسبب قدوم فصل الشتاء .. أكتبت ؟

- نعم كتبت يا سيدي .

- قدوم الشتاء وبسبب ضرورة صيانة "بوراي" المدفأة .. أكتبت؟

- صيانة "البـ ـ ـ و ا .. ر .. ي".. نعم كتبت يا سيدي

وبقدر ما نرى ضرورة ترقين قيودها ..

- ضـ .. ر .. و .. ر .. ة ترقـ يـ ن ..ق يـ و دهـ ا ، نعم؟

- واستكما ل الإجراءات الضرورية لشراء "بوارٍ" جديدة

- لـ.. شـ .. راء بوار جديدة ٠٠ نعم يا سيدي ٠

- لذا يرجى إجراء ما يلزم ٠

- ما يلزم ٠٠ نعم يا سيدي ٠

- هيا قل لهم كي يرقنوا هذا الكتاب على الآلة الكاتبة ٠

- على رأسي يا سيدي ٠

نزع الموظف ورقة المسودة من دفتر الملاحظات المثقب و ناولها لموظفة الآلة قائلاً :

- هيا يا فتاتي قومي ببنسخ هذا الكتاب المستعجل كي يوقع المديرعليه.

لقمت الفتاة الآلة الكاتبة بالورقة لتنسخ ما جاء بالمسودة ، إلا أنهـا لم تفهم شيئاً ، حاولت القراءة ثانية لكن عبثاً إذ أن المسودة كانت تحتوي على نقاط أخرى عدا مسألة "بواري" المدفأة .

في المساء قام ذلك الموظف بتجميع ما أنهته موظفة الآلـة ودخل غرفة المدير ليوقع عليها بعد تقديم ملخص بسيط عن كل كتاب على حده ٠

- من أجل "بواري" المدفأة يا سيدي ٠

- هـ ـ ـ اه ٠ ٠ ٠ ٠حسناً !! .

وهكذا وقع المدير الكتاب ٠

* * * * *

تكدست الأوراق على طاولة السيد مدير الإدارة ٠ وبينما كان يتفحص هذه الأكداس قرأ الورقة التالية :

السيد مدير الدائرة ..

بمناسبة قدوم فصل الشتاء ونظراً لضرورة صيانة "بواري" الماء وترقين قيود التالف منها لذا يرجى استكمال الإجراءات الضرورية لشراء "الـ"بواري" الجديدة" .

مدير الدائرة المذكور ،نظراً لحداثته في الدائرة ، دعا أحد الموظفين القدامى ليسأله قائلاً :

- أنحن مسؤولون عن "بواري" الماء ؟

- أية "بواري" يا سيدي ؟

- " البواري" التالفة .

فكر الموظف ملياً ثم قال مظهراً معرفته :

- قسم اللوازم مسؤول عن "بواري" الماء .

مد المدير يده ليعطيه ورقة مكتوبة . قرأ محتوياتها بعد خروجه من غرفة المدير ومن ثم أعد مسودة كتاب وناولها لموظف آلة الكاتبة .

توضعت على طاولة السيد مدير اللوازم الورقة لتالية :

السيد مدير اللوازم ..

بمناسبة قدوم " الفشتاء " تم تعيين شخصين في مكاتب المياه العامة القديمة وبقدر ما نجد ضرزرة ترقين قيود دوائر المياه القديمة نرجوكم استكمال الإجراءات اللازمة لشراء الجديدة منها .

حاول مدير اللوازم أن يفهم محتوى هذه الورقة لكن عبثاً لذلك لم يجد أمامه إلا أن يضغط على زر " الأنترفون " ليقول :

– السيد علاء الدين ، قل لي من فضلك لمن عائدية مكتب المياه ؟

أجابه صاحب الصوت قائلاً :

– مكتب المياه ؟ والله يا سيدي، إذا لم أخطئ فعائديته للشؤون الفنية .

– استلمت كتاباً سأرسله لك. من فضلك أقرأه وقم بإجراء ما يلزم .

ومن ثم أرسل الكتاب المذكور للسيد علاء الدين بواسطة الآذن .

راح مدير الشؤون الفنية كعادته يتطلع على بريده المكوم على طاولة مكتبه ومن بينه قرأ الورقة التالية :

السيد مدير الشؤون الفنية :

" يعرض معطوفاً على كتاب السيد مدير اللوازم "

.بمناسبة قدوم الفشتاء تم تعيين شخصين في مكاتب المياه العامة وبمقدار ما نجد حاجة هذه المكاتب إلى هجر ولحظات و ضرورة إعادة طلائها ".

حاول مدير الشؤون الفنية فك طلاسم هذا الكتاب عن طريق إعادة قراءته مرات ومرات إلا أنه فشل ، لذا كتب العبارة التالية أسفل الورقة:

" تحال حسب العائدية إلى مديرية المياه " .

ذات يوم استلم معاون مدير العام لإدارة المياه الكتاب التالي :

السيد مدير عام إدارة المياه :

.بمناسبة قدوم فشن ، تم تعيين شخصين في مكاتب المياه العامة ونظراً لضرورة تحديث وتجديد هذه المكاتب القديمة وإعادة تشكيلها واستناداً على الأوامر الموجهة إلينا حول ضرورة إعادة طلاء المكاتب أو المكاتب القديمة

وحسب التقرير المنظم من قبل اختصاصيكم ليعرض على مقام مديرنا العـام العالي " .

حاول معاون المدير حل لغز هـذا الكتـاب والـذي لم يفهـم منـه شـيئاً لذلك اتجه إلى غرفة مديره وهناك صرخ المديرفرحاً :

- ها ، هاه !!! . . . منذ سنوات ونحن نطالب بذلك بإلحـاح ، لكـن دون جدوى ، ألف شكر لك يا رب أن تأتي متأخراً خـير مـن أن لا تـأتي أبداً .

- نعم ، وأنا هذا ما فهمته ، لكن ما لم أفهمه من هو فشن الذي ورد ذكره في الكتاب ؟

- يا روحي هذا مستر فيشر .

- مستر فيشر ؟!!.

- ألم نطالب بقدوم خبير أجنبي في العام الماضي وأعلمونا في حينهـا أن خبيراً أمريكياً اسمه فيشر سيأتينا .

- وماذا عن تعيين شخصين ؟ . .

- لا ، لا يكفي تعيين شخصين لمثل هـذا العمـل اطلـب تعيـين عشـرة أشـخاص وقـل لهـم عمليـة الطـلاء ليسـت مجديـة بـل يجـب تبديـل جميـع الـ"بواري"

في اليوم الثاني نشرت الصحـف علـى صـدر صفحتهـا الثانيـة خـبراً لم يفهمه أحد جاء تحت عنوان " لن نعيش أزمة مياه في هذا العام "

(وكما علمنا من ذوي الشأن أن تمديدات المياه التي وصلت إلى حالـة

يرثى لها سيتم استبدالها حسب خطط موضوعة ، وبهذه المناسبة تم توجيه دعوة للمستر فيشر خبير المياه الأمريكي الاتحادي).

وصل الكتاب التالي إلى مجلس البلدية :

إلى مقام رئاسة البلدية :

الملخص : بمناسبة قدوم المستر فيشر تمت الاستعدادات وعرضت الأسباب لدعم وتقوية كوادرنا بعشرين مهندساً .

حينما قرأ أحد مساعدي رئيس البلدية الكتاب المذكورهرع إلى رئيس البلدية ليقول له:

- سيدي .. سيدي ، يقولون أن مستر فيشر قادم.

- مستر فيشر ؟!!!.

- نعم مستر فيشر ..

- هيا ابدؤوا بالتحضيرات حالاً ...

* * * * * *

على طاولة ذلك المدير الذي طلب إعادة ترميم "بواري" المدفأة توضّع الكتاب التالي :

السيد مدير المراسم :

بلغنا نبأ قدوم وفد أمريكي برئاسة مستر فيشر لذا نرجوكم إعداد برنامج استقبال وإرساله إلينا " .

بعدما قرأ المدير الكتاب المذكور طلب الموظف المسؤول ليقول له:

- سيأتينا وفد أمريكي برئاسة فيشر لذا يجب إعدادبرنامج لاستقباله .

- علىرأسي يا سيدي، سنشغل النوافير الملونة في ساحة التقسيم .

- نعم ، نعم كذلك لينيروا أحد المساجد .

توقف المدير قليلاً ليردف قائلاً :

- هاه .. ماذا حصل "ببواري" المدفأة ؟

- خاطبناهم يا سيدي .

- ياهوه .. بهذه الطريقة لن نحصل على شيء .. هيا خاطبوهم ثانية .

ليس إلى هذا الحد

قال عثمان بك بينما كان يجلس إلى مائدة الطعام :

لا رغبة لي في الطعام هذا المساء

عرضت عليه زوجته قائلة :

- طبقاً من الحساء ؟ .

- نعم ضعي قليلاً منه قد تنفتح شهيتي .

تذوق الحساء بعدما ملأت الزوجة الطبق وقال :

- سنذهب بصحبة الأصدقاء في زيارة .

سألته ابنته مستفسرة :

- إلى أين يا أبي ؟ .

- سنذهب لزيارة دائرتنا الانتخابية .

- ثانية ؟ -سألت زوجته - كم مرة ؟..

- الحساء لذيذ ، ألا تضعين قليلاً منه أيضاً ؟.

ثانية ملأت الزوجة الطبق بالحساء .

- أوف ، ليس لدي رغبة هذا المساء في تناول الطعام .

ثم تابع حديثه قائلاً وهويفتت بعض قطع الخبزالمحمص فوق الحساء :

من الضروري أن نكون على تما س مباشر مع الجماهير .

- وماذا يعني ؟. سأله الابن .

غضب عثمان بك من كلام ابنه وصرخ قائلاً :

- ما هذا الكلام يعني؟. يجب أن نتعرف على مشاكل المواطنين .. ماذا لدينا بعد للأكل ؟ .

رفعت الزوجة الغطاء عن الصينية التي تتوسط مائدة الطعام

- لدينا صينية بطاطا مع الفروج .

- لا رغبة لي في الطعام ، على كل ضعي بعضاً منها .. من طرف الصدر إذا أمكن .. قد تحضرني بذلك الشهية .

ملأت الزوجة الطبق بالطعام

- قليلاً من المرق من فضلك فأنا أستسيغه كثيراً ، وقليلاً من الأرز بالشعيرية أيضاً

أجابته الزوجة قائلة:

- نعم .

- وبعضاً من السلطة أيضاً ، ألا يوجد لدينا مخلل ؟

- نعم يوجد .

- لَم لم تحضري بعضاًمنه يا عزيزتي ؟ ..ألا تعرفين أنه فاتح للشهية ؟.

نادت الزوجة الخادم طالبة منه بعض المخلل .

- يا عزيزتي من المفيد الاستماع باستمرار إلى شكاوى المواطنين

تذمرت ابنته قائلة :

- لكنك يا أبي السنة الماضية استمعت إلى شكاواهم

قاطعتها الأم قائلة :

- وأنت الصادقة السنة التي قبلها ٠

- من فضلك ضعي بعض البطاطا ٠٠ مخلل الخيار لذيذ جداً ٠

- ما رأيك بسلطة الفجل ؟٠

- لآخذ بعضاً منها ٠٠ فالفجل يساعد على الهضم ٠٠ لا أدري ما سبب انعدام شهيتي هذا المساء ؟٠

- هل لك رغبة في الكرفس أم في القرنبيط ؟٠

- والله لا أدري ٠٠ بداية ضعي قليلاً من الكرفس لنرَ ٠

- الكرفس مفيد جداً ٠٠ خاصة أنه من مزرعتنا ٠

أخذ عثمان أفندي ضمة من الكرفس وقال :

- نعم ٠٠ الكرفس لذيذ جداً ٠٠، لكن لسوء الحظ لا رغبة لي في الطعام هذا المساء ٠

- متى ستسافرون ؟٠ سأله ابنه

- رجاءً أيقظوني صباحاً باكراً ، قد أستغرق في النوم ٠ الكرفس لذيذ جداً ٠٠ ضعي بعضاً منه ٠

ملأت الزوجة ثانية الطبق بالكرفس ٠

- ألا يوجد لدينا بصل اخضر ؟

- البصل الأخضر مفروم داخل السلطة

- علينا السفر غداً لنكون على تماس مع الجماهير

- قرنبيط ؟

- ضعي قليلاً منه .. والله لا أدري ما أصابني ، لا رغبة لي في الطعام إنما آكل مرغماً .

- متى نوقظك ؟

- في الثامنة كي أستطيع مغادرة المنزل في التاسعة ..

- أترغب في بعض الثوم ؟ ، مفيد وفاتح للشهية .

- يكون أحسن ... بشكل دائم يجب وضع الأولوية للاستماع إلى هموم الجماهير ... كم هو لذيذ هذا القرنبيط ... من فضلك ضعي قليلاً منه أيضاً .

- أخشى أنك لن تستطيع تذوق الأرز بشعيرية .

- لا .. أستطيع .. أستطيع .. لأنني على سفر

- أنا لم أفهم يا أبي ...

قاطع الأب ابنته قائلاً :

- ما هو غير مفهوم في ذلك ؟ .. أهو الشعب ...

- نعم ولكن ...

- ضعي قليلاً من الأرز بشعيرية .. لأحاول تذوقه جاهداً .

- أتريد بعض الحمص معه ؟

- طبعاً على كل أنا آكل مرغماً .. قد أشتهي الأرز بوجود الحمص.

- مرق الدجاج ؟ .

- لذيذة جداً ... لا تنسوا إيقاظي باكراً ، لا أدري ما جرى لي ... لقد انعدمت شهيتي للأكل .

- أنت مهمل بحق نفسك يا رجل. لَم لا تعرض نفسك على الطبيب؟ .

- أمان يا امرأة . . . وماذا سيفعل الطبيب في هذا الخصوص ؟ .

- أيعقل ما تقول ؟! .. قد يعطيك فاتحاً للشهية .

- حقيقة إن الأرز لذيذ ونفيس .

- أتريد أيضاً ؟ .

- إيه . . ضعي قليلاً . . قد أرغم نفسي على الطعام . . . كي أستطيع ، بشكل دائم ، الاستماع إلى هموم الجماهير .

- طبعاً .

- عندما لا يرغب المرء في الطعام تنعدم شهيته ، ألا يوجد لدينا لبن رائب ؟ . . ضعوا قليلاً منه إلى جانب الأرز .

- متى ستعودون يا أبي ؟ .

- من أين ؟ . . . آه من الاستماع إلى هموم الجماهير ؟ جولتنا قد تستمر يومين أو ثلاثة أيام . . ماذا جرى لي ؟ حتى فقدت شهيتي؟.

- من التنبلة وكثرة القعود . . إنك لا تتحرك من مكانك .

- سنسافر غداً . . التماس مع الجماهير له فوائد جمة ، أتصبين قليلاً من الأرز فوق اللبن ؟.. أيقظوني باكراً صباح الغد . . لا تنسوا هاه . . . لأنني قد أتأخر في الاستيقاظ . . . للاستماع إلى هموم الجماهير ..

- أتريد بعضاً من الشام بابا * ؟.*

- والله لا أدري ما أقول ... على كل ضعي بعضاً منها .. قد أجبر نفسي على تناولها ... من فضلك ضعي بعضاً من القشدة فوقها أيضاً ..

- وكيف ستسافرون يا أبي ؟

- بالسيارة طبعاً .. إنها مناسبة للالتقاء بالجماهير ... لذيذة جداً الشام بابا .. تصوري انها تذوب في الفم .

- أليس كذلك ؟..

- الله يعطيك العافية ..على كل وصلت إلى مرحلة بت لا أ فرق إن أكلت أم لم لا ... من فضلك ضعي قطعتين في صحني .

- وكيف حلاوتها ؟ .

- يـ ـ ـ وه ه ه ... حلاوتها رائعة لكن المصيبة أن لا رغبة لي في الأكل هذا المساء ...

نهض الجميع بينما كان عثمان بك يمسد معدته بيده :

- تزعجني الغازات .

ردت عليه زوجته قائلة:

- أنت هكذا بعد كل وجبة طعام ، لم يا ترى ؟ .

تجشأ عثمان بك بشدة وبعد " استغفر الله " قال:

---

* " شام بابا " : من أنواع الحلويات التركية ، عبارة عن رقائق العجين بالقشدة/المترجم

- والله لا أدري ، حتى أنني لم آكل شيئاً كما تعلمين .

- القهوة مفيدة في هذه الحالة

- قبل القهوة ، أرجوك ! أعطني تفاحة لأنها مفيدة اكثر ، مفيد أن يتناول المرء وجبة خفيفة على العشاء لكنها ليست مثل وجبتي أشبه بمن لم يتناول شيئاً . . . لذيذ التفاح . . من فضلك واحدة أخرى . . أنا أثق أن التماس مع الجماهير " يتجشأ " استغفر الله . . له فوائد جمة لذلك أقول دائماً . لا بد من الاستماع " يتجشأ بشدة " استغفر الله لأنه مفيد جداً ، يا ابنتي ألا تحضرين لنا القهوة قد يفيد في ذلك . . ألا يكون السبب أن معدتي خاوية ؟ .

- يا روحي طالما تشعر بذلك لم لا تأكل شيئاً ما ؟ .

- يا خانم .. كيف على أن أكل ، وأنا لا رغبة لي في الطعام ؟ . . تصوري أنني اشعر باللقمة تتضخم في فمي .

- لم لا تشرب شراباً لفتح الشهية ؟ .

- محقة بما تقولين . . لكن عندما أعود من جولتي .

سمع عثمان بك صو ت بائع شراب "البوزة"*

- لكنه ليس لذيذاً بدون " القضامة " المالحة !.

- قد يكون لدى البائع القضامة المالحة أيضاً ؟

---

* " البوزة " : شراب حلو المذاق يصنع من عصير الذرة / المترجم

- لكن .. لا رغبة لي .. حسناً ليملأ هذا الإبريق .. قد أستطيع شرب كأس أو كأسين .

ركض الخادم نحو الباب ليلحق بالبائع قبل ابتعاده . وبعد لحظات عاد وبيده إبريق مليء بالعصير وكيس ورقي فيه " القضامة " .

شرب عثمان ملء كأس من عصير البوزة ، ومن ثم راح يلتهم من حبات القضامة المالحة .

- غريب أمري هذا المساء ، حتى عصير البوزة تعافه نفسي ، هذا غير معقول .

- هل أحضر لك كأساً آخر ؟ سألته زوجته

- ماذا أقول ؟ .. على كلٍ صبي كأساً آخر حتى لو أنه ليس مفيداً عندما تكون المعدة خاوية .

- لدينا كعك مالح .. ما رأيك بقليل منه ؟

- نعم أحضري بعضاً منه قد يكون مفيداً عندما يكون مع عصير البوزة .

شرب عثمان كأساً آخر من عصير البوزة وأتبعه بقليل من القضامة المالحة وبعد ذلك راح يتألم من معدته .

- آه أتحرق من معدتي .. أشعر وكأنها تلتهب .. وكأنني أكلت مالحاً وحلواً في آن .

تجشأ بعدما شرب كأساً من الماء وقال :

- أعطني قليلاً من الكربونات .. أنني أستاء ..

تجشأ بعدما تناول ملعقتي شاي كربونات .. بل تجشأ بقوة

- آه لقد استفدت كثيراً ..

أتريد أن أحضر لك مليناً ؟.

- نعم , نعم أحضريه .. لكن لا تنسوا إيقاظي في الصباح الباكر.. أخشى أن يأخذني النوم .. فكما تعرفون أن للاتصال بالجماهير فوائد جمة شرب الملين وتجشأ ثانية -.. استغفر الله.. أيقظوني باكراً كي أسافر.. آه لو أستطيع النوم ..

- وكيف ستغفو ومعدتك فارغة .

- آه يا زوجتي العزيزة لقد اعتدت على ذلك .

- لكن حالتك ستسوء وتتدهور صحتك من الجوع ليلاً , لذا سأضع بجانب رأسك قليلاً من البسكويت .

-محقة أنت في ذلك لكن البسكويت لوحده ينشف الحلق ... ليكن معه بعض الشوكولا .

- ما رأيك بقليل من " الليمونادة " ؟

- ضعي لنرى ما آخرة قلة الشهية هذه الليلة .

انصرف عثمان بك إلى غرفة النوم وقبل اندساسه في فراشه أجهز على كل البسكويت ومن ثم شرب " الليمونادة " وهو في فراشه بعد ذلك غفا حال وضع رأسه على وسادته ليعزف معزوفته اليومية .

في الصباح التالي أيقظته زوجته وقام بإجراء بعض القضايا الضرورية قبل السفر ، حزم حقائبه وخرج إلى محل الحلويات حيث مكان تواعدهم ،

وهناك التقى بأصدقائه الثلاثة و انطلقوا بسيارتهم إلى جولتهم الجماهيرية .

وفي أول ناحية واجهتهم خارج المدينة اتجهوا إلى غرفة تجارة تلك المنطقة وهناك كانت رغبتهم الاستماع إلى هموم التجار .

بدأ عثمان بك حديثه ، قلمه بيد ودفتر ملاحظاته بالأخرى منتظراً تدوين شكاوى التجار :

تفضلوا يا سادة ، أتينا لنستمع إليكم .

رد عليه أحد التجار الحاضرين قائلاً :

- قبل كل شيء انقل إليكم شكري وشكر جميع أصدقائي لتحملكم عناء السفر ومجيئكم إلينا والاستماع إلى شكاوانا لكن .. للحقيقة أقول ليس لدينا شكاوى .

رمق عثمان بك صديقيه بنظراته وهما أيضاً بادلاه نفس النظرات وقال :

- نعم نحن أيضاً نعرف أن لا مشاكل لديكم .. لكن ، قد تظهر بعض المشاكل والتعقيدات هنا أو هناك ..

تاجر آخر قال :

- أرجوكم يا سادة ما هذا الباب الذي أردتم طرقه ، يمكن أنكم لم تفهمونا ، أو حتى تفهموا قصدنا ،أم أنكم تودون استدراجنا بالكلام ؟ .

تاجر آخر تدخل بالحديث ليقول :

ما ذلك الباب الذي طرقتموه يا سادة؟ لا توجد لدينا أية مشكلة والحمد لله .

أجابه عثمان بك والذهول بادٍ عليه :

– طبعاً . . . طبعاً . وأنا أيضاً لم أسألكم عن شكاواكم . ومن ثم التفت إلى صديقيه

– ليس إلى هذا الحد يا سادة ! نحن لم نسألهم عن شكاواهم أليس كذلك ؟ .

كلاهما أجابا بسوية :

– نعم ... نعم ..

تابع عثمان بك ما بدأ به قائلاً :

– قد ينقصكم شيء ما ، أو أن لكم بعض الطلبات ؟.

– شكراً جزيلاً ،كل شيء لدينا على ما يرام... نستورد ما نحتاجه ... ونقترض قدر ما نشاء .

أخفض عثمان بك صوته وقال :

– أنتم محقون بما قلتم لكن ، ليس إلى هذا الحد .. حتى نحن تواجهنا بعض الأزمات و الصعوبات .

تابع التاجر كلامه :

– رأسمالنا كبير ولله الحمد كبير ، لذلك نستطيع التصدير على .. حتى أننا لم نربح في حياتنا مثل هذه الفترة .

أردف عثمان بك بصوته المنخفض:

– والله لا أدري .. محقون بما قلتم لكن ليس إلى هذا الحد ...

* * * * *

اتجه عثمان بك وصديقيه إلى إحدى النقابات وهناك وقف عثمان بك أمام أعضاء النقابة وقال :

- أيها المواطنون يمكنكم أن تفصحوا عما بداخلكم بكل صراحة فما أتينا إلا لكي نتعرف على مشاكلكم ونستمع إلى شكاواكم .

نهض أحد العمال وقال له :

- مثل ماذا ؟

يعني .. مثلاً .. انخفاض أجوركم .. عدد ساعات العمل ... أوضاعكم الصحية ..

- يا سيدي .. نرجوكم .. والحمد لله أمورنا كلها عال العال .. وماذا نريد بعد ؟.. مثلاً نستطيع توفير ثلاثمئة ليرة شهرياً

- الله الله .. لا شكاوى لديكم على الإطلاق ؟..

- طبعاً لا ...

- ليس إلى هذا الحد ؟.

* * * *

بعد ذلك اتجه عثمان بك وصديقيه إلى اجتماع آخر . كان عدد المدعوين في هذا الاجتماع محدوداً .

بدأ عثمان بك قائلاً :

- أيها المواطنون الأعزاء ... أتينا لكي نستمع إلى شكاواكم ونتعرف على همومكم .

انتصبت إحدى السيدات وقالت :

- ماذا تقصدون بحديثكم ؟. أية شكاوى وأية هموم ؟. أنتم ماذا تقولون ؟.

- يعني لا مشاكل لديكم ؟.

وقف أحد الرجال وقال :

- يوه ه ه ه ه ه !.. الحمد لله كل شئ لدينا على ما يرام .. معيشتنا جيدة ومشاغلنا عال العال .

- الله الله ... حتى ال....

- لا يا سيدي ... مستقبلنا مؤمن .. شكراً لكم ..

- ليس إلى هذا الحد يا جماعة .. يعني هذا ... طبعاً صدقتم بما قلتم . لكن ، ليس إلى هذا الحد ...

ركب عثمان بك وصديقيه السيارة واتجهوا إلى إحدى القرى القريبة وهناك احتشد سكان القرية في الساحة العامة .

وقف عثمان بك وقال :

-يأيها المواطنون القرويون !... أتدرون لم أتينا إليكم ؟. أتينا كي نستمع إلى همومكم .

قاطعه عجوز من بين القرويين صارخاً :

- هموم ؟!... أية هموم؟.

- يعني مثلاً . . . نتفة من هنا وأخرى من هناك .. الماء والطرقات ..

- طرقاتنا رائعة وكلها معبدة . مياهنا كذلك ...

- لا يا روحي ... ليس إلى هذا الحد ... حقول مقول ....!!

- حقولنا واسعة نزرعها ونحصدهـا .. نحصـل علـى القـروض اللازمـة لكننا لا نأخذها بسبب عدم حاجتنا إليها .

- ليس إلى هذا الحد ...

دخلت زوجة عثمان بك الغرفة وقالت :

- هيا انهض ، تأخرت ...

لكزته ثانية وهو المتوزع بكامل جسمه على السرير ورأسه متدل مـن على المخدة نهض عثمان بك فجأة كالملدوغ وقال :

- ليس إلى هذا الحد ...

- كيف يعني ليس إلى هذا الحد لقد شارفت الساعة على العاشرة.

قال عثمان بك بينما كان يرتدي ثيابه :

- تفوه... لقد تأخرت على الجماعة ، كانوا بانتظـاري .كنـا سـنلتقي بالأخوة المواطنين .

هاوي أدب

مستأجر جديد سكن في الطابق الثاني . انتقالهم كان ميسراً ، وقد رتبت أشياؤهم خلال أسبوع واحد . إلا أنه وكما تعلمون فإن الشقق الحديثة لا تشبه بيوتنا القديمة فالجوار لا يعرفون بعضهم بعضاً ولا يسلمون على بعضهم البعض حتى . فعلى سبيل المثال لم نعرف أن جارتنا الشقراء فتحت بيتها للدعارة منذ سنتين إلا من خلال الصحف بعدما داهموا البيت وألقوا القبض عليها .

لم أتعرف على المستأجر الجديد ، لكن ، ذات صباح وبينما كنت خارجاً من منزلي حياني رجل سمين بلطافة زائدة منزلاً قبعته حتى أسفل سرته ، رددت على تحيته ومشيت ، إلا أنه استوقفني قائلاً :

– أنا مؤمن أكرم أوزنار .

ثم تابع حديثه دون أن يفسح لي المجال كي أقول له شيئاً ما

– أنا جاركم الجديد الذي سكن في الطابق العلوي تفضلوا بزيارتنا لنتسامر ... أرجوكم شرفونا .. تشرفنا بمعرفتكم .

وهكذا تم التعارف على الماشي.وفي المساء أتاني الخادم ليدعوني قائلاً :

–يقول لك سيدي تفضلوا بزيارته .

– عذراً عندي ضيوف .

بعدها راح مؤمن بك يلح على زيارته . طبعاً ستتسلى فيما لو زرناه ، ولكن عندها تقتضي اللباقة أن أدعوه إلى بيتي وبذلك سيفتضح أمري أمام الأغراب وأنا الذي لا أملك سوى أربعة كراسي مثل الخازوق .

ازداد بعدها إلحاحه إلى درجة كاد معها أن يجرني من يدي مجبراً إياي على تلبية دعوته .

ذات مساء لبيت دعوته ، لقد كان بيتاً عصرياً ، بأشيائه وبصالته التي تشبه "العصرونية" و باختصار فإن ما أريد قوله أن البراد والمكنسةالكهربائية والبيك آب ،الغسالة ،الطنجرة البخارية ، المسجلة ، والخلاط الذي يسمونه بالمكسر إضافة إلى أجهزة أخرى كانت موضوعة في أماكنها دون أن تفرغ من علبها الكرتونية .

استقبلني يومها في غرفة مكتبه ، وما لفت نظري وأدهشني حقيقة ،كم الكتب المتوضعة على رفوف المكتبة ، قد يخدع المرء به ويظنه شيخاً أبله

- أحب الوسط الثقافي .

هكذا بلهجة مضخمة بدد دهشتي ، على الرغم من أن لهجته ليست مشكلة . سألته عن مهنته أجابني :

- تاجر .

بعد ذلك قام مؤمن بك بإلقاء بعض شعره . وسألني مستمزجاً رأيي :

- هاه !.. قل لي كيف وجدت شعري ؟.

قلت له :

- جميل .

وهكذا كلما عبرت له عن إعجابي ألقى علي المزيد ، ومن ثم انتقل إلى القصة :

- قصصي أيضاً جميلة مثل أشعاري .

لكنه عندما أراد الانتقال إلى المسرح شعرت بملل رهيب لذلك حاولت تغيير الموضوع برمته ، مددت يدي إلى رف من رفوف المكتبة، الغنية ، فأنا الذي أقرأ وأكتب طوال أيام السنة لا أملك مثلها ، غنية بكل معنى الكلمة.

- كل هذه الكتب مهداة لي .

- لاه!!... ومن أهداك إياها ؟.

- مؤلفوها طبعاً!... انظر الإهداء بخط أيديهم ، جميعهم أحبابي .. مع احترامي الشديد لهم ، فقد حسبوا حساباً لمكانتي وأهدوني نسخاً من أعمالهم .

دهشت كثيراً مما سمعت ..

- تعرف فالح رفقي ؟!..

قلت له مجيباً :

- سمعت به .

سحب كتاباً من على الرف وقال :

- هذه هديته .

أخذت الكتاب فإذا هو كتاب "غابة الزيتون " لفالح رفقي . قرأت عبارة الإهداء بناء على رغبته :

- " تم إهداؤها لأخي الغالي مؤمن أكرم ذكرى صداقتنا .... فالح رفقي "

لكن فالح رفقي لا يستخدم مثل هذا التعبير في إهدائه !.. لكن من يعلم .. ربما ؟!..

- وهذا ذكرى من رشاد نوري ، اسمع ما كتب " مؤمن بك مع فائق احترامي ".... رشاد نوري .

صحيح إني مشغول بالقضايا التجارية لكن جميع الكتاب أصدقائي .

ثم مد يده ثانية مخرجاً كتاباً آخر :

- وهذا لرووشين أشرف .

في هذه المرة قام هو بقراءة المقدمة :

- لأخي مؤمن بك مع الرجاء بقبول فائق احترامي " ..... رووش أشرف أونوايدن ".

كتب كثيرة " الغريب " ليعقوب قدري و "البقالية ذات الذباب " لخالدة أديب وجميعها تحمل إهداءات مؤلفيها .

إضافة لهذه الكتب هناك بعض الكتب التافهة أيضاً تحمل إهداءات كتابها .

أثناء "بحبشتي " بين الكتب وجدت كتاباً أصابني بالذهول ورفع الدم إلى أعلى رأسي ، رواية لي كتبتها ذات يوم باسم مستعار ، فتحتها و إذ عبارة الأهداء التالية:

- للمحترم مؤمن أكرم أفندي مع فائق الاحترام ...حسن بك تاشه.

سألته أتعرف حسن بك تاشه ؟..

- لو لم يكن صديقي لما أهداني كتابه بخط يده .

زوجته كانت تجاريه في إظهار معرفتها و فهمها ، وفي بعض الأحيان تعقب على حديث زوجها بلهجة استنبولية ناعمة .

دعوني ثانية لاحتساء القهوة ، بالفعل "لم أكذب خبر" ذهبت إليهم ولكي أتخلص من جو الكآبة في الزيارة الماضية سألته :

- أتعرف شاعرنا الكبير توفيق فكرت ؟.

في هذه المرة زوجته كانت السباقة في الإجابة :

-آه!... كيف لا نعرفه ...إننا نحبه كثيراً وهو كذلك ، غالباً ما يتردد إلينا لتناول الطعام ، تصور أنه يموت بأكلة المحاشي التي أصنعها له خصيصاً.

هاهاه ... جاءت اللحظة المناسبة كي ألقنهما درساً لن ينسياه طوال حياتهما . سألتها مستهزئاً :

- ماذا تقولين يا سيدتي ؟ !!!... توفيق فكرت ميت !.

ظننت أنهما سيخجلان من هذا الموقف ، غير أنها قالت بصفاقة ووقاحة عجيبة :

- لاه !..ماذا تقول ؟!.. الآن أدركت لماذا لم يزرنا منذ زمن طويل .

بينما تابع زوجها حماقة زوجته :

- أتساءل لم انقطعت رجله عن زيارتنا ... فكرت به كثيراً ، إذاً مات هاه ؟... رحمة الله عليه ... واه واه .

يبدو أنهما لن يذوقا على حالهما .

– يا عزيزي مر خمسون عاماً على وفاته !.

بعد صمت قصير وتبادل النظرات فيما بينهما تنطحت وقالت :

– الله الله ... كم يمر الوقت سريعاً !.

جمدت في مكاني ولم أستطع التفوه بكلمة واحدة ... هكذا فُرِضَ عليَّ الاستمرار بالاستماع إلى هذه الترهات الرخيصة ، ثم قلت لهما أنتظركما عندي في البيت غداً مساءً .

أجابني الزوج قائلاً :

– نخشى أن نزعجك .

وبالفعل أزعجاني بقدومهما على الرغم من استعدادي كي ألقنهما درساً رائعاً . بعدما شربنا القهوة قلت لهما :

– وأنا كتبي مهداة من مؤلفيها على الرغم من أنني لا أمتلك كتباً كثيرة مثلكما .

– جميل جداً – أجابني الزوج – كم كتاباً في مكتبتك ؟...

تناولت من على الرف ترجمة أحمد وفيق لموليير وناولته إياه .

– أقرأ من فضلك ما كتبه لي :

قرأ الإهداء "لابني الحبيب حسن بك .... أحمد وفيق "

– من أحمد وفيق هذا ؟هل كان قائد الفرقة الثالثة ؟..

وبدلاً من الإجابة على هذا السؤال و النزول إلى هذه الترهات أمسكت مجلداً من تاريخ نعيمة فقد يخجلون من أنفسهم وقلت اسمعوا ما كتبته :

- كي يكون الحب هو الهدف أقدم هذا المؤلف مع فائق احترامي ومحبتي يا حسن .... نعيمة .

نظرت إليه لعله فهم الدرس وذاب من الخجل إلا أنه فكر قليلاً وقال :

- ومن هو هذا نعيمة وفي أي مجال يتاجر .

لم أستطع التفوه إطلاقاً لأنني لو فتحت فمي لما استطعت السيطرة على نفسي ولا شك أني سأدوسه بقدمي .

- لكن ألا يوجد لديك أعمال لشخصيات معروفة ؟ ...

بحثت بين الكتب حتى وجدت فاوست ثم قلت :

- هاك كتاباً لغوته اسمع ما كتبه لي " عزيزي حسن ".

- ما اسم مؤلف الكتاب ؟.

- غوته

وضع يديه على صدغيه مدعياً التفكير وقال :

- غوته ... غوته ....؟!!! آه عرفته ألم يكن هذا وكيل السيارات الألمانية لدينا ؟!...

عندها فقدت صوابي و أصبحت مثل أولئك المجرمين الذين يقولون أثناء تمثيلهم الجريمة في مكان وقوع الجريمة " لا أذكر ماذا جرى بعد". نعم أنا هكذا ، لا أدري ماذا حصل وإذ بي في مخفر الشرطة وبيدي مجلد ممزق لشكسبير و قبالتي جلس مؤمن بك مهشم الوجه واليدين لا يُسمع منه سوى عبارة :

- سأدعي عليه !.

سألني الضابط :

- هيا قل لنا ماذا حصل؟.

بدل الإجابة على سؤاله مددت له يدي مناولاً المجلد الممزق يظهـر فيـه صورة شكسبير :

- ومن هذا الملتحي هاه ؟.

- شكسبير .

- هاه؟!!... إذاً أجنبي ؟!! .

- نعم إنكليزي .

- وما مهنته ؟.

- شاعر .

عنوانه وكيف تعرفت عليه هيا أفصح عن عنوانه بسرعة .

التفت إلى مؤمن بك وطلبت منه متوسلاً:

- باللـه عليك امسكني .

نادى الضابط على رجلي الشرطة الذين كانا في الغرفة وقال لهما :

- لا علاقة لنا بهذه القضية ، هيا أحيلاها إلى الشعبة السياسية .

تحليل الشخصية عبر خط اليد

جرت هذه الحادثة في العام ١٩٤٤ ، أثناءها كنت أعمل في إحدى الصحف اليومية براتب سبعين ليرة شهرياً . من التاسعة صباحاً حتى الثانية عشر ظهراً مراسلاً للشؤون العلمية والاقتصادية ، وبعد الظهر للشؤون القانونية إضافة لكل ذلك ، أقوم بإعداد لقاء صحفي وتحقيق يومي ، و في المساء ،أكتب زاوية يومية وقصة العدد .

في الليل أستمع إلى الإذاعات وأستقبل هاتفياً أخبار أنقرة . كذلك أقوم بترجمة بعض المواد عن الصحف الأجنبية التي قد يكلفني بها رئيس التحرير ، وفيما لو بقي لي متسع من الوقت أقوم بمساعدة أعمال السكرتارية . كل هذه الأعمال مقابل سبعين ليرة شهرياً . فالأمور ليست بهذه البساطة كي يدفعوا مثل هذا المرتب في " البيبالي " .

بلا "سلبطة " ولا غش ولا خداع يستخدمون المرء لمدة سنتين مجاناً .بحجة الفترة التدريبية التي من المفترض أن تكون شهرين .

أما أنا ـ بعد انقضاء فترة التدريبية ـ فقد رسمت على وجهي أمارات الجدية وسألت معلمي :

– ماذا بعد ؟.

أجابني قائلاً :

- أنا متفائل بـك ، ستصبح صحفيـاً ناجحـاً ... مبدئيـاً ، سـأعطيك خمسين ليرة شهرياً ، لكن عليك إعداد الكلمات المتقاطعة .

استمر هذا " المبدئياً " خمسة أشهر دون أن يخجل ،لذلك طالبته بزيـادة راتبي ، وهكذا أتتني الزيادة الأولى خمـس لـيرات وبعدهـا توالـت الزيـادات خمس ليرات كل ثلاثة أشهر حتى بلغ السبعين ليرة . أما في المطالبة الأخيرة فقال لي المعلم :

- ماذا ؟! . . أية زيادة هذه التي تطلبها ؟!.. لقـد جعلنـا منـك كاتبـاً مهماً .لذلك عليك أنت الدفع لقاء ذلك .

" تواقحت أكثر " ، لكن ، مهما يكن فهو معلمـي وشـيخ المتواقحـين ومن ذوي السوابق في الوقاحة لذلك قال لي يومها :

- اسمع سأرفع أجرك خمس ليرات فيما لو استطعت تحليل الشخصيات عبر الخط.

- لكني لا أعرف كيف يتم ذلك .. كيف سأقوم بذلك ؟.

- تستطيع ...تستطيع !...

وهكذا مقابل تحليل الشخصيات أصبح مرتبي خمساً وسبعين ليرة .

بناءً على ذلك نشرت صحيفتنا يومياً وعلـى مـدار الأسبوع الإعـلان التالي :

(لكي تكـون صحيفتنـا أكثر فـائدة ، نقـدم سـبقاً صحفيـاً جديـداً لقرائنا الأعزاء إذ تمت دعوة أحد أهم خبراء تحليل الخطوط في العالم وهو

الخبير الغرامفلوجي "هرفون رود شميدت" ، كي يقوم بتحليل الشخصيات عبر الخط لذلك نتمنى من جميع قرائنا أن يكتبوا لنا سطرا واحداً بخط يدهم كي يتمكن البروفيسور من تحليل شخصياتهم) .

على الأغلب عرفتم من هو هذا الخبير الغرامفيلوجي الألماني هرفون رود شميدت !!..

وهكذا أصبحت بروفيسوراً من حيث لا أدري وكل ذلك كرمى لعيني الخمس ليرات شهرياً .

ما أكثر من يريد التعرف على شخصيته ... إذ راحت مئات الرسائل تمطر على الصحيفة يومياً وبذلك ازدادت مبيعاتها .

يومها علمني معلمي سر المهنة وكيف يتم تحليل الشخصية مبيناً أن داخل كل إنسان خصالاً حميدة وفي نفس الوقت يعزى كل فشل إلى قلة الحظ .

طبقت هذه التعليمات والأحكام العامة بحذافيرها بحيث لا يستطيع أحد الاعتراض على ما كتبت فعلى سبيل المثال حللت شخصية إحداهن على الشكل التالي :

" أنت امرأة رقيقة ومرتبة ، مشتتة بعض الأحيان جديرة بالتفاؤل ، روحك صافية ورقراقة .. هذا يعني أن في داخلك إنسان حقيقي " .

لن أنسى ما حييت تلك الرسالة التي وصلتني ، قلنا لهم أرسلوا سطراً واحداً وليس خمس صفحات لذلك حللت شخصية المرسل على الشكل التالي :

" تحبون الحكي كثيراً ، ولديكم القدرة على أن تلفتوا انتباه المستمع لما تقولون ، من هنا يفهم أنكم تمتهنون مهنة تعتمد على الحكي، مما لاشك فيه أنكم ستنجحون في حياتكم " .

دخل رئيس التحرير غرفتي نفس مساء صدور هذا التحليل وسألني مرتبكاً :

– ماذا كتبت عن عثمان يوز دري ؟.

– لا أدري لكن لنقرأ الصحيفة إن شئت .

تصفحناها وإذ به هو صاحب تلك الشخصية التي حللناها

– جاء الرجل ملحاً التعرف على خبير الخطوط .

– إيه !!!... وما العمل ؟.

– لاشيء !.. ستصبح ألمانياً وأنا أكون مترجمك .

– وهل تجيد الألمانية ؟.

– يوه ه ه ه ه ...لا ، لا أجيدها .

تراكضوا يمنة ويسرة وأخيراً عثروا على المترجم المطلوب . والآن كل الأمور أصبحت على ما يرام لكن كيف سأتحدث بالألمانية وأنا لا أجيدها ؟....

دخل الرجل ورمق رئيس التحرير نظرة ثم تبع المترجم بواحدة أخرى وسأل :

– من هو البروفيسور ؟..

لم يستطع تثبيت نظراته عليَ عندما أشاروا نحوي لأن شكلي الياباني لا يشبه الألمان بتاتاً وهو محق بذلك .

- عفواً بروفيسور هيرفون رود شميدت ، أذهلتني طريقة تحليلك ، لقد أثبت أني محامي وأمتهن الحكي بشكل محير .

قام رئيس التحرير بترجمة هذه العبارة إلى الفرنسية ليتابع مترجمنا إلى الألمانية . والآن أتى دوري للإجابة وأنا لا أعرف من الألمانية ولا كلمة واحدة . لذلك قلت لنفسي لأشد على يده بحرارة معبراً عن شكري وامتناني لما قاله ، ومن ثم بدأت بكلامي بلكنة الألمانية شاداً على يده :

-ياه !... شوهن ذر شوهن .

في هذه اللحظة بالذات دخل رئيس قسم التنضيد متجهاً نحوي دون أن يترك المجال لأحد أن ينقذ الموقف :

- حسن أفندي ،توقف تجهيز العدد للطبع ، لأنك لم تقدم تحليلاتك لهذا اليوم .

استدرت فوراً و أدليته ظهري بينما أداره رئيس التحرير ومن ثم صرفه من الغرفة .

هنا بدا الشك في نظرات المحامي إلا أنه أردف قائلاً :

- لي طلب خاص يا بروفيسور ... أرغب في الزواج من امرأة ، هل تستطيع مساعدتي على تحليل شخصيتها من رسائلها ؟.. كي أستطيع اتخاذ القرار اللازم .

قام رئيس التحرير بفرنسة طلبه ليقوم المترجم بألمنتها وأخيراًجاء دوري ، تلعثمت و لم يصدر مني سوى كلمة " زنك "

نظرت إلى معلمي ، غمزني طالباً مني الاستمرار :

- داس أنين لوغين أوبيت زيهته شلاهين مورد غيرد رناه نيغورين ماينه .

نقل المترجم هذه الهرطقات أو بالأحرى هذا الهذيان إلى الفرنسية ومن ثم نقلها رئيس التحرير إلى التركية على الشكل التالي :

- طبعاً ومباشرة إن أردت .

مصيبة كانت ستقع لولا فطنة رئيس التحرير عندما قال المحامي :

- أجيد قليلا من الألمانية إلا أنني لم أفهم شيئاً مما قاله البروفيسور.

نعم فطنته أنقذتنا عندما قال :

- ألبروفيسور من شمال جنوب ألمانية ، حتى الألمان يفهمونه بصعوبة .

لكن يبدو أن الأمور لن تسير على ما يرام إذ دخل القهوجي ليسألني :

- هل أنت طالب الشاي يا حسن أفندي ؟.

أخذ المعلم منه كأس الشاي وصرفه .

بدأت تزداد شكوك المحامي ،لكن ما زاد الطين بلة دخول بقال الحي ، ذلك الذي تم صرفه مرات عديدة من مبنى الجريدة بحجة عدم وجودي .

راح يصرخ أمام الجميع :

- شكراً للرب وأخيراً التقينا يا حسن أفندي ، عشرات المرات وأنا آتي إليك ... عيب يا أخي ....اليوم ... بكره ... اليوم ... بكره ما

بك " تتمقطع " بي و تتقاذفني كالكرة . لقد مللت من هذه الأسطوانة .أم أني أخطأت عندما دينتك هاه ؟.

تدخل المعلم لإنقاذ الموقف :

- يا أخي ماذا تريد؟ ، هو لا يجيد التركية .

- كيف ؟؟.. لا يجيد التركية ؟!! ..، اللـه اللـه !! . زمـان واللـه . يتحدث مثل البلبل عندما يأخذ الفاصوليا والبصل والآن عندما رآنـي ابتلـع لسانه هاه ؟ .ثم التفت إلي:

- حسن أفندي ، أنا لا أفهم بالحكي ، أريد نقودي .

أجبته قائلاً :

- أيه بين غاينه .. أه زايتنغ زيمن .

شده البقال مما سمع :

- حسن أفندي ما بك أجننت ؟.

- يفوه !!... شوينايِن زولا مي هين ...

لم يستطع مترجمنا مقاومة الموقف أكثر مـن ذلـك إذ راح يتكركـر مـن تحت لتحت

تدخل المعلم ثانية ليقول له :

- لقد أخطـأت به يا أفنـدي ، شـبهته بشـخص آخـر هـذا بروفيسـور ألماني .

- ماذا ؟!! ... هذا بروفيسور ألمـاني ، انظـر إلى هيئتـه هـل "شـفت " بحياتك ألمانياً على شكل ياباني ؟!...

أحرجت كثيراً ومع ذلك استجمعت قواي لأقول مبدياً استغرابي عما يدور حولي :

- ذه غوينر كاماردين شيفا تغنين زهنه ؟.

دفع المحامي مترجمنا جانباً وسألني :

- لم تغير لون وجهك هاه ؟؟...

نسيت أني خبير ألماني وأجبته :

- لا أعرف .

بصق المحامي على " خلقتي " وخرج ثم تبعه البقال ببصقة أخرى وخرج وأخيراً بقينا أنا ورئيس التحرير ، أخرجت منديلي لأزيل ما علق على وجهي من بصاق .

- لم تنجح في مهمتك سأخصم من راتبك عشر ليرات .

ثم بصق بوجهي وخرج .

حلم أمريكي

داهمني النوم . لكن لا أدري ما هو السبب حتى وجدت نفسي في واشنطن ، أهو الجوع أم الشبع، على كل هذاحلم !. يعني أصبحت شخصية هامة .

حفل استقبال كبير جهزه الأمريكان ، أحدهم يرحب بي بكلمة ، رددت عليه بمثلها قائلاً :

- نحن .. أنتم .. منا إليكم .. منكم إلينا ..لنا ولكم .. حول المساعدة .. ها لنا أم لكم .. ما لدينا.. والمشترك ..معكم..مسألة في غاية الأهمية من أجلنا ..الإنسانية لكم.. والديمقراطية.. نحن.. الحرية.. أنتم والدولار ؟...أساسا...نحن.. ليحيا تبعكم..ما عندنا..لنا أم لكم..

غطى صوت التصفيق الحاد أرجاء القاعة ...

المصورون الصحفيون راحوا "يتكتكون " بكمراتهم ملتقطين صوري بينما اقترب أحدهم وهو على ما يبدو شخصية كبيرة وقال :

- كلمة هامة جداً ، هي الأولى من نوعها ،لم يشهد تاريخ السياسة مثلها ، أهنئكم على ذلك .

بعدها بدأ العرض ، في البداية قمت بتحية القوات الأمريكية غير المسلحة عندما مرت من أمام المنصة.مرت من أمامي وريالتها "شاطة"!، من ثم القنابل الشقراء من طرف والسمراء من الطرف الآخر بعدها القنابل

الهيدروجينية والكوبالتيـة . لتتبعهـا جميـلات الفترينـات وعارضـات الأزيـاء وملكات الجمال وجميلات المسابح..إضافـة لملكـات جمـال أنديـة أخـرى . أثناءها قالوا لي :

- تفضلوا إلى البيت الأبيض .

على ما يبدو هذه الدعوة كـانت لإجـراء مؤتمـر صحفـي. وهنـاك انهـالت أسئلة الصحفيين الذين تحلقوا حولي "كزخ " المطر ، قلت لهم :

- يا جماعة واحد واحد ، لا تسألوا كلكم دفعة واحـدة . وقـف أحـد الصحفيين وهو متخصص بكتابة افتتاحيات ست وثلاثين صحيفـة وسـألني قائلاً :

- ما عدد الصحف التي يغطيها كاتب الافتتاحيات لديكم ؟.

- لدينا لكل صحيفة كـاتب افتتاحيـة ، لكـن ، الجميـع يكتـب نفـس الشيء .

- كيف ذلك!؟.. أشخاص مختلفون يكتبون نفس الشيء؟.

- لا يوجد لدينا "غير " "مير " لدينا وحدة يعني هكذا كلنا مع بعض.

- ألديكم ديمقراطية ؟.

- نوعـاً مـا ، لكـن في الآونـة الأخـيرة بسـبب فقـدان بعـض القطـع التبديلية لم نعد نستخدمها .

- ما مفهومكم للديمقراطية ؟.

- الديمقراطية ، تعني للشعب ، من أجل الشعب ، لخير الشـعب ، مـن جانب الشعب ، حق وحقوق ، حق ومق .

صحفي آخر يعمل في صحيفة توزع مليوني نسخة سألني قائلاً :

- ما هي الأحداث التي تشغل شعبكم الآن ؟.

- أوهوه ...!!! ... هي كثيرة لكن أهمها نشرت إحدى صحفنا صورة إحدى ممثلاتكم وهي " مفرشخة " فخذيها ومنذ ذلك اليوم احتدم النقاش حول نقطة هل هذه الممثلة مرتدية بنطالاً أم لا .. نعم مسألة البنطال أصبح الشغل الشاغل لدرجة أن الجميع نسي مشكلة الغلاء وفقدان السكر وتجاهل مسألة الحرية والديمقراطية . مسألة أخرى تشغل شريحة واسعة ما بين السابعة وبين السبعين من العمر ألا وهي حق الانتقال من فريق " فنار بهتشه" * إلى فريق الوفاء .

- ماهي أوضاعكم الاقتصادية ؟.

- أووه! ...جميلة جدًا! ... لكن في الآونة الأخيرة اختفى السكر من عموم أسواق البلاد وارتفعت أسعار السجائر والعرق بنسبة ثلاثين بالمئة حتى البندورة أصبحت نادرة كذلك ارتفعت آجارات البيوت كل ذلك بسبب كلمة أحد المعارضين اليساريين ألقاها بغير مناسبة في إحدى مناطق ضواحي استنبول .. ماذا أقول لك يا سيدي حتى حرارة الجو ارتفعت واختفى الورق والكليشات...يعني ببساطة أن فشلنا كان
بسبب هذا المعارض اليساري ، إضافة إلى ذلك لدينا مسألة الحرب.

جميعهم سألوا سوية :

---

* " فنار بهتشه " : من فرق كرة القدم التركية المشهورة / المترجم

- ألديكم حرب ؟...

- نعم ... لدينا والي ، يعني والياً أباً عن جد . واجه كل الانتفاضات ببطولة وصدر مفتوح ، والينا مدعوم . يومها كنت ضجراناً وعلى ما يبدو بسبب حرارة الجو أفكر وأقول لنفسي ماذا أفعل؟؟. وإذا الباعة الجوالون يعلنون الحرب .

أية كلمات قاسية ألقاها والينا...كأنها قاذفة قنابل...حتى الباذنجان والفليفلة والدراق والبندورة فقدت من الأسواق .

انتهى المؤتمر الصحفي ، اقترب مني أحد المسؤولين وسألني :

- لم أتيتم إلى هنا ؟.

- السبب المباشر يعني هذا..كما هو معروف ..حال الإنسانية.. نحن ... قلعة للديمقراطية .لا تقل ديمقراطية وتكتفي.. لأن الديمقراطية بحاجة لدعامة .. كذلك القلعة يلزمها قفص...وكرة جلدية نفخ قياس حمسه ..

طلبات أخرى كنت سأطلبها لو لم أستيقظ على صوت المنبه الذي ربطته منذ المساء .

اللص الشريف لا يسرق أخاه اللص

أفضل حكواتيي السجون التركية مقيم في القاووش رقم واحد . مدللاً للغاية، لدرجة كأنه سيحمل على الأكف . جميع السجناء حاولوا الاستئثار به إلا أن سجناء هذا القاووش كانوا الأوفر حظاً ، ذلك ، لأنهم وعدوه بعشرة قروش على الرأس الواحد على الرغم من أن بعضهم في قاووش آخر دفع نفس المبلغ إلا أن عدد المساجين في هذا القاووش كان أكثر .

كرموه وأعطوه أعلى سرير في أحسن منطقة ، لقد تم اختيار هذا المكان بعناية فائقة كي يسمعه الجميع وهم ممددون على أسرتهم .

هذا الحكواتي واحد من أولئك الذين يقطر العسل من ألسنتهم ، كما يقولون ، لدرجة أنه كان يطلب منهم أن ينظروا إلى فمه وهو يروي لهم الحكايات .

قارئ جيد ، الجميع يستمع إليه باهتمام بذلك أصبح بحق ، وسيلة تسلية على الرغم من حظرها داخل السجون .

حفظ العشرات ، بل المئات من القصص والروايات عن ظهر قلب من كثرة ما رواها على مسامعهم . قرأ شارلوك هولمز " المقاتلون الثلاثة" مونت كريست _ بائعة الخبز البؤساء .

له طريقته الخاصة في عـرض الروايـات والقصـص إذ أنـه يقسـمها إلى أقسام ليقدمها عبر ثلاث أو أربع ليال وبعضها خلال أسبوع .

وفي بعض الأحيان يطلبون منه روايتها مرات ومرات لأنـه ، بصراحـة، كان يرويها ويشرحها أفضل من كتابها .

حتى أنهم حفظوها عن ظهر قلب من كثرة ما تكررت على مسامعهم لذلك كانوا له بالمرصاد فيما لـو تجرأ على تحويرهـا أو التلاعـب بعباراتهـا قائلين له :

– لا ، لقد أخطأت هنا كان يجب أن تقول كذا وكذا .

لكنه في بعض الأحيان كان مضطراً إلى إجراء بعض التعديلات وذلـك حسب المناسبة والمكان والزمان وحسب فهم واستيعاب السجناء.

في الليل عندما يحين موعد نومهم يتمدد الجميع على أسـرتهم بما فيهـم الحكواتي ليروي روايته وهو مضطجع في سريره .

هنـاك روايـات خاصـة لبعـض المناسـبات فمثـلاً ليـالي شـهر رمضـان والأعياد وأعياد الميلاد وسهرة رأس السنة تكون مناسبة للروايـات الفاحشـة والسـاقطة ، وعندمـا تـروى مثـل هـذه الروايـات تتكشـف خفايـا نفـوس المساجين ، ويسود صمت اللهم إلا آهات هنا وأنات مهتاجة هناك .

وعندما ينتهي من رواية أي فصل يطلبون منه إعادته ثانيـة والاسـتمرار بها حتى يطغى صوت الشخير على كل الأصوات الأخرى.

حتى الحكواتـي نفسـه كـان يفضـل مثـل هـذا النـوع مـن الروايـات والقصص ، لكن المحظور فيهـا هـو اسـتحالة التلاعـب أو قطـع الروايـة في

النقاط الحساسة خاصة وأن النفوس تكون مهتاجة ومحتقنة وويل له فيما لو تجرأ وأخطأ لأن قيامته تكون بانتظاره وقد يتعرض للضرب في بعض الأحيان.

لكن يا خسارة لم تكن كل أمور الحكواتي على ما يرام إذ أن إدمانه على الهيروين خرب وهتك أعصابه ، لذلك فإنه عندما "يشفط " منه وينتشي ترتخي أعصابه ويغفو ، حتى أنه كان يغفو أحياناً أثناء رواية القصة أو الرواية لذلك كثيراً ما كان يلكزه شخص قريب منه موقظاً إياه . لكن الغريب في الأمر أنه يتابع دائماً من حيث توقف تماماً قبل أن يغفو .

إدمانه على الهيروين جعل السيجارة لا تفارق إصبعيه حتى أثناء النوم. لذلك فكثيراً ما كان يستيقظ السجناء على رائحة احتراق شئ ما ، بسبب نسيانه السيجارة مشتعلة ومن كثرة احتراق السجائر بين أصابعه فقد فقدت الإحساس .

لكن ما يثير الاستغراب حقاً هو قدرته الفائقة في الحفظ ، فقد حفظ جميع الروايات المحلية تقريباً إضافة لعدد كبير من الروايات العالمية، ومن أكثر هذه الروايات طلباً " عصفور الدغل ، البقالية ذات الذبابة ، من الشفة إلى القلب " ولعل السبب في ذلك قراءته الكثيرة بسبب وضع أسرته المادي الجيد .

لديه قدرة هائلة في التأثير على مستمعيه ، يبكيهم حتى الإجهاش أو يضحكهم حتى القهقهة ، كذلك يستطيع تهيجهم في أية لحظة يشاء . لذلك كثيراً ما كان السجناء يقولون إنه يؤثر بهم أكثر من الأقلام المحلية

لأن هذه الأفلام المحلية لم تعد فعالة ، ليبارك الله له بهـذه القـروش العشـرة التي يأخذها.

عدا عن ذلك فقد كان يمتلك موهبة أخرى ، موهبة استخدام الفم والأنف كآلتي موسيقى، فهو يصدر من أنفه صوت بوق بشكل ساحر ومن فمه الترمبيت ومن خديه المنفوختين صوت طبل حتى صوت الكمان أو الكلارينيت .

لذلك كثيراً ما كان يتفاخر بقدرته على تشكيل فرقة موسيقية كاملة . يعزف أية مقطوعة على النوتة الموسيقية لدرجة أن السجناء كانوا يظنونها أصوات آلات حقيقية ، باختصار شديد لوحده كان يستطيع تشكيل فرقة سيمفونية كاملة ، حتى صوت الأجراس يستطيع إصداره من طرق المفتاح على السرير .حتى أنه يستطيع تقليد الأصوات البشرية لذلك كان يقدم شخصيات روايات حسن رحمن كلاً على حدة .

في بعض الليالي يقلد أصوات الرواة الشعبيين وفي بعضها يحرك شخصيات " كرا كوز " كذلك يحدثهم عن أحداث هامة جرت سابقاً وعن أعمال القبضايات الخارقة وعن علاقته بهم .

عاش بفضل العشرة قروش كالأباطرة ، يأكل ويشرب مثل البهوات وإضافة إلى ذلك يتعاطى الهيروين.

عدا عن ذلك مكانته محفوظة في جميع القواويش إلا قاووش البهاوات إذ أنهم كانوا ينظرون إليه نظرة استخفاف واحتقار ، حتى أنهم لم يعجبوا بما كان يروي لأنهم لم يكونوا بحاجة لمثل هذه الوسيلة لتسليتهم، لكن ما

يثير الحيرة أن هذا الحكواتي كان يروي بتفاعل واضح خاصة القصص الهابطة والروايات الخلاعية ، لقد أصبح قواداً كبيراً ، مثل العاهرة تماماً ، تلك التي تهيج زبونها دون أن تهتاج إلا بما يتطلب عملها ، لقد ساعده الهيروين كثيراً في قتل إحساسه وشعوره .

ذات يوم فقد أحد السجناء من تحت مخدته محفظة نقوده، هذه العملية كانت سابقة خطيرة وغريبة جداً لأن مساجين هذا القاووش لصوص المحترفون وكما هو معروف عن اللص إنه لا يسرق أخاه اللص حتى لو قُتل .لذلك فإن هذا القاووش كان من أكثر الأماكن أماناً لأنه يضم لصوصاً محترفين واللص الشريف لا يسرق أخاه اللص .

راح المسروق يصرخ بأعلى صوته :

- لا أصدق ما جرى ، أهي نهاية العالم ؟. " ولك " شوهتم سمعتنا وألصقتم العار بنا لا تهمني النقود بل سمعتنا التي تلوثت ، لكن أخ لو أعرف من الذي فعل هذه القذارة ؟.

لصوص القاووش لا يمكن أن يفعلوا ذلك . إذاً الشخص الوحيد الذي يمكن أن يقوم بذلك هو مدمن المخدرات والمدمن الوحيد هو الحكواتي.

ولكي يبعد الشبهة عن نفسه راح يصرخ بأعلى صوته:

- ابحثوا جيداً !... فتشوني .. أنا أقول لكم فتشوني ها أنا أمامكم ، ستكونون عديمي الضمير إذا لم تفتشوني .

وهكذا ازداد الشك به ، لأنه لو لم يكن فاعلها لم اهتاج وماج بهذا الشكل .نعم وازداد هياجه عندما راحوا يفتشون أغراضه وحوائجه بل أخذ

يسب الأخت والأم وما إلى ذلك . فتشوا جميع الزوايا لكن عبثاً .

خرج من بين اللصوص أحدهم ، كان كبير السن وكان يبدو من هيئته الخارجية أنه ذو خبرة ودراية بهذه الأمور . تقدم منه وقال:

- يا جماعة هذا هو السارق ، وإن لم يكن هو فأنا لا أفهم شيئاً .

ثم اقترب منه وصرخ به " ولك أخلع "!!!..

خلع الحكواتي قميصه ثم القميص الداخلي حتى أصبح عارياً ، تماماً كما ولدته أمه .

ثم صاح به .

- " ولي دبرك ولك "

حاول الحكواتي التمنع إلا أن اللصوص أجبروه على ذلك ، بعد ذلك مد اللص المجرب إصبعه إلى دبره مبعداً بين فخذيه ثم ساب لفافة النقود من فوهة شرجه وكأنه هو واضعها ثم التفت إليه وقال :

- أتستغبينا !؟.. ولك أنسيت خبرة أربعين عاماً .

مازحه أحد اللصوص الشباب قائلاً :

- كم هو رائع أنك لم تكن رجل شرطة يا أخي .

بعد هذه الحادثة حاولوا طرد الحكواتي من القاووش إلا أنهم فكروا بوسيلة تسليتهم

لذلك غضوا الطرف عن فعلته واعتبروه كأنه لم يفعل شيئاً .

إلا أن ما حصل لم يكن بالحسبان لأن الحكواتي المدمن على المخدرات تأثر كثيراً مما حدث . إذ أنه لم يعد يروي لهم أي شيء . وفي النهاية لو لم

يغادر القاووش لوحده .لأخبروا إدارة السـجن عـن ذلـك علـى الرغـم مـن قساوة هذا التصرف عليهم لاشك .

غادر الحكواتي القاووش و بقي مكانه فارغاً .

للزمن

تجاوزت الأربعين و لم أتـزوج إلى الآن وليس في نيـتي الـزواج حتـى .
و كما يقولون الرجل الأعزب كالشجرة العاقر " غير المثمرة "على كلٍ ، أنـا
لا أهتم لمثل تلك الشجرة ، فلدي أبناء اخوتي أمنحهم الحب والعطف .

شقيقي الأكـبر موظـف محـدود الدخـل ليسـت لديـه القـدرة للتسلية
والتنزه ولا حتى للزيارات ، لذلك ، فهو لا يرتاد دور السـينما أو المسـارح
ولا يذهب إلى شاطئ البحر فلم يجد أمامه وسيلة تسـلية مجانيـة إلا إنجـاب
الأولاد لذلك كان " يسـظ " ولـداً كـل عـام .أمـا شـقيقي الـذي يصغـره
ويكبرني فكان كسيباً ، ترك المدرسة بعـد وصولـه إلى الصـف الثـامن مر
على زواجه خمس عشرة سـنة وخـلال هذهالفـترة رزق بولديـن . أمـا أخـي
الذي يصغرني وهو آخر العنقود كما يقولون . فقد تـرك المدرسـة بسـبب
غبائه وسماكة عقله لذلك اسـتطاع بصعوبـة بالغـة تجـاوز الصـف الأول .
ولعل هذا هو السبب الذي جعل منه رجلاً غنيـاً و لديـه كـل الإمكانيـات
للتسلية واللـهو ، لكن مـا يثـير استغرابي هـو كيـف وجـدا هـو و زوجتـه
الوقت المناسب لإنجاب طفلهما الوحيد .

نحن أربعة أشقاء وسمة التناقض تجمعنا فشقيقاي كثيراً مـا ينعتـان أخـي الكبير بأنه حـول زوجتـه إلى مفرخـة أولاد ، وهمـا يستشـهدان بما قالـه الإمام بكداش " طالما أن رزقهم ليـس عليـك لـذا خلـف وكـب " أمـا هـو فيقول لهم" أما يكفي أني اقدم أطفالاً لوطني .

حتى أنا، وصلني الدور في سخريتهما إذ كانا يصفانني"بالشجرةالعاقر " وها أنا أرى ثمـارهم اليانعة ! ، فبعضهـا كـالكرز " المدود " أو المشـمش المعطوب " المعاين " وبعضها كالثمرة الريانة . ومع ذلك فأنا أحب جميـع أبناء أخوتي وهم أيضاً يحبونني .

البارحة جميعهم كانوا في زيارتي ، تماماً ثمانية أطفال أكـبرهم في الثانيـة عشر وأصغرهم في الثالثة .

جميع من هم تحت التاسعة عملوا على تقليب مكتبـتي وإثـارة الفوضـى فيها .

- عمي ، ركام من الكتب لا يوجد فيها كتاب يستأهل القراءة! .

عددت لهم بعض العناوين التي تتلاءم مع أعمارهم :

- لدي روبنسون كروزو وروايات جول فيرن ومغامرات غولفر .

أنفجر الجميع مقهقهاً ليقول لي أحدهم :

- يـا عمـي دعـك مـن هـذه وقـل لنـا هـل لديـك لمـايك هـامر ؟ أم لبيكوسـبيل ؟ أو المخـالب الداميـة ؟ دروس في الحـب .. أو الموسـوعة الجنسية؟ .

حقيقة ليست لدي من هذه المؤلفات ولا واحدة .

فتوش ذات الأحد عشر عاماً كـانت مثـل الشيطان ، ملحاحـة كثيرة الأسئلة لديها رغبة جامحة في معرفة كل جديد ، صحيح أني لم أصبح أبـاً ، لكن، أعرف أساليب تربية الطفل ، أضف أني قرأت كتباً عديدة حول هذا الموضـوع ، وجميعهـا تقـول إن لـدى الأطفـال رغبـة في توسيع مداركهـم ومعارفهم فكثيراً ما تجدهم يسألون الكبار بإلحاح ..

لذا فمن الضرورة بمكان ، الإجابة على جميع استفساراتهم و أسئلتهم والأخذ بأيديهم في هذا المجال . ولهذا السبب سأجيب عن جميـع أسئلتهم وذلك حسب طريقة تربيتهم . وهكذا رحت أشرح لهم وكأنهم كبـار في السن ..

أمـا فتـوش الشـيطان فقـد أشـارت إلى إحــدى صفحـات الصحيفـة مستفسرة :

- عمي كُتِب هنا عبارة " أطفال الأنابيب " ماذا يعني ذلك ؟ .

تلفت يمنــة ويسـرة في مكـاني حيث كنت جالسـاً وحسـب الكتب التربوية لزاماً علي شرح عبارة أطفال الأنابيب لذلك رحت أشرح متلعثماً على الشكل التالي :

- هذا يا أولاد ، ألا يوجد أولاد . .

تحلق الجميع من حولي وكل منهم ينظر إلى فمي :

- إيه ؟ . . .

- هذا يعني إذا أرادت إحدى الأمهات تشكيل طفل لوحدها . . لأن لتكوين طفل لا بد من وجود أب .

حقيقةً ، تصببت عرقاً ، لكن كم هو رائع تدخل "أردال " في الحديث وتخليصي من هذه الورطة ليسألني قائلاً :

– عمي ماذا يعني عبارة قرأتها في إحدى الصحف " ضبطوا في وضعية غير طبيعية " ؟ .

– الوضع غير الطبيعي يعني ... حاول جميع الأطفال الاستماع باهتمام ... لا كفى ، لا يجوز تجاوز ذلك وليسمح لي جميع المربين أن أقول لهم ليفهم الأطفال معنى هذه العبارة لوحدهم عندما يكبروا .

–يا أولاد الوضعية غير الطبيعية يعني أن نقلق راحة الآخرين ونحدث الصخب والضجيج .

في هذه اللحظة سألني " يلماز " :

– عمي ، أنظر هنا كتب عبارة "اغتصاب فتاة " ماذا يعني ؟ .

– هيا يا أولاد لنخرج ونتنزه قليلاً ..

تحلق الجميع من حولي ثانية :

– هيا يا عمي اشرح لنا ، اشرح لنا

– يعني أنه سرق أثمن ما لدى الفتاة ...

استغربت " يلدير " قائلة :

– ماذا عمي ؟!!

– اصمتي ، قليلة الأدب . دنا أيدن مني أكثر ليسألني :

– وكيف يتشكل الطفل ؟ .

حاولت قطع الحديث ، إلا أن تدخل "" ألتان " " أفشل محاولتي :

- قالوا إنهم يجدونهم في الشوارع ، أليس كذلك يا عمي ، لكن ليس الجميع .

عقب" " يلدز "" ساخراً :

- وبعضهم تحمله الملائكة من السماء .

وانفجر الجميع مقهقهين ليقول لي أحدهم ذو التاسعة من العمر :

- ولك يا عمي .. كم هو حسن أنك لم تتزوج .

سألته ووجهي محمر من الخجل :

- ولم ؟..

- ولم سيكون ؟ .. طالما أنك لا تعرف كيف يتكون الطفل ولا تعرف ماذا يعني الوضع غير الطبيعي ... يا عمي .. يا عمي كيف وصلت إلى هذا العمر وأنت لا تقرأ حتى الصحف ؟

خرجت والخجل يعتريني مخلفاً ورائي قهقهاتهم .

الاعتراف

نشرت الصحف يومها على صدر صفحاتها الأولى ثلاث صور متفرقة لثلاثة أشخاص . الأول نشال ، سرق من جيب أحدهم داخل الترامواي مئة وخمسين ليرة أما الثاني فهو الذي سُرِق من جيبه المبلغ المذكور،والثالث شخص ادعى كذباً أن أحد النشالين قد شق جيب بنطاله، ونشل منه نقوده .

نشرت صور الأشخاص الثلاثة في مواقع مختلفة ،تحت عناوين وأنباء مختلفة ، لذلك لم يستطع القراء استيعاب العلاقة التي تربط الأشخاص الثلاثة ، على الرغم من أن النقود المسروقة هي القاسم المشترك بينهم .

جرت الحادثة التي تربط أولئك الأشخاص ذات مساء داخل ترامواي والفوضى مخيمة عليه بسبب الازدحام الشديد.

بداية تقتضي الضرورة تعريفكم بأولئك الأشخاص تباعاً بدءاً من الأول ثم الثاني ،فالثالث وبعد ذلك لا بد من تسليط الضوء على تلك الحادثة ولكي نعرفكم بها لا بد من إلقاء الضوء على تلك الشخصيات، الرجل الأول اسمه جمال ، جمال بك هذا في التاسعة والخمسين من العمر ، متزوج من واحدة تصغره ستة وعشرين عاماً ، قبيحة الشكل ، مشاكسة

وشمطاء بعكسه تماماً فهو هادئ و مسالم ، يتشاجران باستمرار ليلاً نهاراً . "على الطالعة والنازلة " بسبب أو بدون سبب . وإذا أردنا الإنصاف فهي التي تتشاجر معه أما هو فلا حول و لا قوة له .بل الأدهى من كل ذلك أن برودة أعصابه توترها فلا تعود تتمالك نفسها فتضربه كي تدفعه للشجار . مَنْ مِنَ الجوار لا يعرف أن جمال بك يُضرب يومياً . حتى أن صوت بكائه يصل لآخر الدنيا . لذلك كانوا يشفقون عليه .لنأت الآن إلى الشخص الذي سُرِقت نقوده داخل الترمواي . هو في الأربعين من العمر ،اسمه حقي ، أما أصدقاؤه والشرطة وجميع العاملين في السجون فيلقبونه بمنغنه حقي " حقي الهراس".

أطلقوا عليه هذا اللقب لأنه إذا وضع أحداً ما في باله فإنه يتبعه ويبدأ بعصره كالمهراس ولا يتركه حتى ينشل محفظته . نشال مشهور ، وذائع الصيت لدرجة أنه لو تمت عملية نشل في أي مكان لاشتبه به ، وتم استجوابه . لذلك فكثيراً ما دفع ثمن أعمال لم يقم بها .

أما الشخص الثالث الذي نشرت الصحف صورته وادعى كذباً أنه نُشِل فاسمه موسى ، وهو في السادسة والعشرين من العمر ، يقال إنه انتقل إلى استنبول في العام الماضي ، يعمل حاجباً في إحدى الشركات ، وهو يعيش في ضائقة مالية بسبب دخله المحدود. رغم ذلك فهو متزوج وأب لولدين .

و هكذا تعرفنا بشكل أولي على الشخصيات الثلاثة صاحبة الصور المنشورة في الصحف أما الآن فلأشرح لكم كيف جرت الحادثة وكيف

التقوا مع بعضهم .

جلس جمال بك في ركن من أركان الغرفة . راح يبكي بصوت منخفض ، بعدما تلقى أول صفعة في ذلك الصباح .

صرخت زوجته قائلة :

- هيا انهض ، كفاك ثرثرة بلا " طعمه "، هيا اذهب وخذ أجرة الدكان ثم رح واشترِ سيراً لماكينة الخياطة بدلاً من الذي قطع ، هيا أسرع.

ورث جمال بك بيوتاً ودكاكين في أنحاء متعددة من مدينة استنبول ومن أجورها الشهرية ينفق على معيشته .

يقوم شهرياً يجمع أجورها ليسددها لزوجته حتى آخر قرش .

يوم الحادثة تماماً أرسلته زوجته . طبعاً بعدما صفعته كي يأخذ أجرة أحد الدكاكين. يومها قفز المسكين من مكانه كالملدوغ عندما زعقت به ثم راح يلبس ثيابه .ثم زعقت ثانية :

- " لا تتأخر هاه . والله بفطسك " !.

تابعت زعيقها وهو خارج من البيت - إياك أن تتصرف بأجرة الدكان وإلا هرست عظامك .

أخذ جمال بك سير الماكينة الملفوف بقطعة جريدة بالية .

راح في البداية وأخذ أجرة الدكان مئة وخمسين ليرة ، ثم راح يبحث عن السير الذي أوصته زوجته بشرائه .

بحث في كل المحلات من "كرا كوي" وحتى " توبهانه" لكن ، عبثاً .

جميع الذين مر عليهم سخروا منه قائلين :

- لا تبحث وتتعب نفسك ، لن تجده .

لكن لا أحد يعرف مشكلته فإنه إذا عاد بـلا سـير ، فزوجتـه ستهرس عظامه . لذلك راح المسكين يسـأل كذلـك في محـلات جـادة " بـانكلر " و"يوكسك كالدرمي " . هناك قال له أحدهم :

قد تجده لدى بائعي القطع التبديلية في " عثمان بيه " . كذلك قالوا له: قد تجد طلبك في" قاسم باشا "، حتى أنهم زودوه بعنـوان .و هنـاك أيضـاً قالوا له قد تجد في " بشيكتاش " ، وفي " بشيكتاش" قالوا تجده في " زيتون بُرنو ".

حل المساء وجمال بك يركض في استنبول مـن مكـان لآخـر بحثـاً عـن السير . قاربت الساعة السادسة مساءً ... بحث في جميع المحلات ... صرف كل ما لديه أجرة مواصلات ،ولم يبق لديه من أجرة الدكان سـوى خمـس وعشرين ليرة ... هذا يعـني أن بانتظـاره لكمـة لأنـه تـأخر و أخـرى لأنـه صرف أجرة الدكان وثالثة لأنه لم يشتر السير .. لذلك راح يناجي نفسه :

- إيه يا ربي ، ماذا أفعل ؟... أحسـن إلى عبـدك بفكـرة تخرجـه مـن هذه الورطة ... هل أنتحر؟...أم ماذا ؟؟..

ركب الترمواي منفقاً آخر ما لديه ... يومها كـان الـترمواي مزدحمـاً بشكل كبير والفوضى بادية عليه ... استطاع بصعوبة أن ينحشر في ركـن ما ، و وسط هذا الزحام التمعت في ذهنه فكـرة ... نفذهـا مباشـرة حيـث راح يصرخ بأعلى صوته :

- " يوه " .... " لطشوا نقودي " !!! .

صرخ بطريقة جعلت الكل يتجمد في مكانه من الخوف ، حتى السائق أوقف الترمواي.

كانت هذه الطريقة أفضل طريقة للخلاص من عقوبة زوجته ... نشال لطش نقوده .. وبذلك ستنتهي الأمور بشكل طبيعي ، إذ لا نشال في الترمواي و بذلك لن يجدوا النقود وهكذا كل يروح بحال سبيله .

أما الشخص الثاني في هذه العملية فهو النشال المشهور " منغنه حقي"، الذي لم يقم بأية عملية نشل منذ شهر عندما نشل محفظة حجي أغا . في هذا المساء صعد الترمواي مرفوع الرأس لا متخفياً كما هي العادة في السابق حيث لم يكن يتواجد في مثل هذه الأماكن إلا لكي ينشل . وكما قلت فإنه صعد مرفوع الرأس إلا أنه كان مجبراً على ركوبه لأنه لم يحظ بسيارة تكسي أو ميكرو باص يعني باختصار فإن تواجده مع جمال بك محض صدفة لا أكثر .

عندما صرخ جمال بك " نقودي ... لطشوا نقودي " ، صعق منغنه حقي الذي كان يقف بجانبه مصادفة.. لأنه سيكون أول المشكوك بهم في هذه العملية .ماذا سيفعل لو هرب سيمسكونه لو ظل بمكانه سيمسكونه أيضاً . أليس هومنغنه حقي النشال المشهور؟! .. لذلك ووسط هذا الموقف ولكي يبعد عنه شبهة عمل لم يقم به . صرخ بعد صراخ جمال بك " لطشوا نقودي " قائلاً :

- نعم ... وهذا هو النشال ، أنا رأيته .

قال ذلك مشيراً إلى الشاب الواقف بجانبهما ...

جميع الواقفين خلف ذلك الشاب امسكوه بإحكام كي لا يهرب

لنتحدث الآن عن الشخصية الثالثة في تلك العملية ...اسمه موسى كان قد سرق يومها قبل ركوبه الترمواي مبلغاً من المال ، لكن هذا المبلغ لم يكن مئة وخمسين ليرة بل مئة ليرة ، ولم ينشل المبلغ من جيب جمال بك بل سرقه من أحد أبناء قريته .

لنسهب الآن بالحديث أكثر.موسى هذا كما حدثتكم عنه ، يعيش في ضائقة مادية . يومها مساءً بعدما أنهى عمله ذهب لزيارة أحد أبناء قريته لكي يستدين منه مبلغاً من المال .

دخل الخان حيث يقيم قريبه هذا واتجه إلى غرفته وهناك وجد الباب مفتوحاً . ووجد سترته معلقة على مسمار على الجدار ... ركبه الشيطان... بحث فيها ووجد مئة ليرة وضعها في جيبه وخرج مسروراً ... من أين سيعرف ابن قريته أنه هو السارق طالما أنه لم يشاهده بتاتاً .. خرج إلى الشارع ..قفز إلى داخل الترمواي المزدحم ومصادفة كان في ذلك المكان بجانب جمال بك ومنغنه حقي .. وهكذا جرت الحادثة .

الشخص الذي قال عنه منغنه حقي " نعم!!!... رأيته بأم عيني وهو ينشل .. هو الذي سرق النقود " والذي امسكوه كان موسى نفسه ...

أدخل الثلاثة إلى المخفر دفعة واحدة ..

جمال بك نُشِل منه مئة وخمسين ليرة ...موسى هو النشال .... ومنغنه حقي الشاهد..بداية استمع النقيب إلى أقوالهم ومن ثم همس في أذن معاونه:

- انتهى دوامي ...أنا ذاهب إلى البيت ... أتمم التحقيق معهم .

سأله معاونه :

- وما المشكلة ؟.

أشار النقيب وهو خارج من الباب قائلاً :

- هذا نشل من هذا مبلغاً من النقود وهذا شاهد على ذلك .

أخذ المعاون الهراوة من بين مجموعة من الهراوات المعلقة على الحائط وتوجه إلى جمال بك قائلاً :

- هيا اتبعني كي أسجل إفادتك .

دفع جمال بك إلى غرفة مجاورة و أغلق الباب خلفهما .منغنه حقي و موسى بقيا في الخارج . راحا يسمعان العبارات التالية :

- ولك قل لي كيف نشلت محفظته ؟. من ؟!.. أنا؟! ، لاه؟! . لست أنا ..

ثم أصبحت العبارات كلمات متقطعة ...

- أي ..أخ ..والله .. أنا .. أوف .. أبوس أسفل قدميك .. واي...

بعد ذلك ساد صمت عميق .. خرج المعاون ملوحاً بالسوط بيده اليسرى ثم نادى موسى :

- هيه أنت ! .. اتبعني !..

دخل موسى ..أغلق الباب خلفه ... وهنا أيضاً سُمعت بعض الكلمات وبعض الصراخ ثم ساد الصمت من جديد .

وأخيراً جاء دور منغنه حقي . وبعد الانتهاء من الإجراءات الضرورية .

أرسل المعاون خلف الصحفيين ومصوري الصحف لإجراء مؤتمر صحفي.

في البدء تم تصوير الأشخاص الثلاثة ثم تلا أحد النقباء إفادتهم واعترافاتهم أمام الصحفيين ، طبعاً المذيلة بتواقيعهم دون شك !!!... والمطبوعة على الآلة الكاتبة ...

سُرِق من جيب منغنه حقي مئة وخمسون ليرة .أما رجال الشرطة فقد استطاعوا إلقاء القبض على النشال بسرعة

وهذا ما يؤكده اعتراف جمال بك بفعلته الشنيعة أما موسى وحسب إفادته المكتوبة أيضاً فقد كلفه رئيسه في العمل بإيصال مئة وخمسين ليرة إلا أنه نظراً لظروفه المالية الصعبة فقد صرف منها خمسين ليرة ولكي لا يعيد ذلك المبلغ فقد أدعى كذباً أنه نُشِل في الترمواي .

عرض النقيب المئة ليرة أمام الصحفيين كي يثبت دقة كلامه و كأنه الدليل القاطع على ادعاءات موسى الكاذبة .

في اليوم التالي نشرت الصحف صور الأشخاص الثلاثة كلاً على حده النشال جمال ، والمسروق منغنه حقي وموسى المدعي كذباً .

هذه هي باختصار مغامرة الأشخاص الثلاثة الذين نشرت الصحف صورهم والذين لن تستطيعوا إيجاد أي رابط بينهم .

حلال عليه

أخيراً وقع زينغو في الشرك ، نعم ، أخيراً ألقي القبض عليه . هو الـذي زرع الرعـب في قلـوب سـكان الولايـات الخمـس . ذئـب متوحـش، يـا حفيظ.

عندما علم الجميع بأمر اعتقاله سارعوا للاحتشاد على جـانبي الطريـق المار من أمام دار الحكومة لإلقاء نظرة عليه . يداه مغلولتان بسلسـلة طويلـة ثقيلة طرفها الأخر متدلٍ علـى الأرض تصـدر أثنـاء المشـي صـوت طرطقـة خاصة .

يسير إلى يمينه رجـلا شـرطة وإلى يسـاره رجـلا شـرطة أمـا في الخلـف فخمسة . يتقدمهم ضابط احتياط .

بحر متلاطم الأمواج تشكل من الراغبين في رؤيته . الواقفون في الخلـف يتدافعون رغبة في الوصـول إلى الأمـام بينمـا مـن هـم في الأمـام يـتراجعون ابتعاداً وخشية منه .

أما موكـب زينغو فقـد كـان كالسـكين القـاطع ، يقطـع الحشـد أثنـاء مسيره ليعود فيلتئم بعد مروره .

بعـض المتدافعـين يبصقـون عليـه وبعضهـم يرمونـه بالحجـارة " ثـور وهوى"كما يقولون . أما العجائز فكن يصرخن" فلتقهر يـا زينغـو ...لتمـت يـا زينغو ...“ .

كما هو معروف عن الأشقياء ، لا بد أن يكون لديهم محبون ومعجبون ،حتى لو كانوا من أقرب المقربين أما زينغو فقد كان على العكس تماماً . فشقيقه الذي يعتبر من أقرب أقربائه، ينتظر ساعة إعدامه لحظة بلحظة ، كذلك الحال بالنسبة لأقربائه وأبناء قريته .

شيء آخر معروف عن الأشقياء ألا وهو تمتعهم بالشهامة والمروءة، كأن يقوم بسرقة الغني لينفق على الفقير أو أن يتعهد بإقامة أعراس الفتيات الفقيرات . أما زينغو فلا أحد يتحدث عنه بالخير ، فهو ذئب متوحش منذ كان طفلاً ، يتلذذ بالقتل . لا يفرق عندما سيقتل بين غني أو فقير .. رجل أم امرأة كهل أم شاب .. سنوات طويلة وهو يجوب الجبال ، فلا أصدقاء لديه ، وهل يتجرأ أحد على مصادقته؟! .

عندما وقع في الفخ لم يجدوا في جيبه أكثر من خمس ليرات ، هذا يعني أنه يقتل من أجل القتل ،لأنه لو كان غير ذلك لامتلأت جيوبه بالذهب. نعم يقتل من أجل القتل ، وكأنه يرغب في إفناء البشرية كلها ، كي يعيش وحيداً مرتاح البال على وجه البسيطة .

في طفولته ،كان يقطع رقاب الدجاجات التي يصطادها بأسنانه ، بعد ذلك راح يفقأ أعين القطط ،ويبقر بطون الكلاب ، وقد هرب إلى الجبل أول مرة ليلة زفافه .

لم يكن زينغو أغنى رجل في قريته وحسب،بل في جميع القرى المجاورة. لذلك تزوج أجمل فتيات القرية ،مهرها كان قطيعاً من الغنم مؤلفاً من مئة رأس و ثلاثمئة قطعة ذهبية إلا أنها لم تلتقي به . حتى أنها لم تشاهد وجهه

قبل تلك الليلـة . لذلـك دهشـت في ليلـة الدخلـة.، لا بـل صعقـت لذلـك أطلقت العنان لصوتها مخفية وجهها بكلتا يديها كي لا تـراه ، وركضـت . لكن إلى أين ؟ ، فزينغو وقف أمام الباب كي لا تخرج .

جلست في إحدى زوايا الغرفة وهي تصرخ . وكلما حاولت رؤيته من بين أصابعها ازدادت صراخا .

لا يمكن أن ينظر إليه أي أحد دون أن يخاف .

طوله أكثر من مترين ، يداه مثـل المغرفـة أمـا وجهـه ... فمنـذ ولادتـه أدخل الحيرة والاستغراب في نفوس جميع سكان القرية ، إذ أنـه ولـد بـرأس يشبه رأس الخنزير إلى حد ما كذلك فيه شبه إلى رأس جـاموس . أو لنقـل إن رأسه يشبه رأس جميع الحيوانات باستثناء الإنسان .

هناك من قال إن أمه حملت بـه منـذ الشـهر الأول لذلـك فكلمـا كـبر ازداد بشاعة وإخافة . جبينه ضيـق وعينـاه كبيرتـان مثـل الفنجـان إحداهـا ليست في مكانها الطبيعي بل متوضعة إلى الأسفل قليـلاً ،ذو أنـف ضخـم، أما شفته السفلى فمرتخية مثل قطعة لحمة الكفتة النيئة ، وأسنانه كبيرة . أما وجهه فمكسو بالشعر .

محقة عروسه بخوفها ، ووبإخفاء وجهها بكفيهـا ، كـانت تـزداد بكـاءً كلما دفعها حب الفضول لرؤيته.

حاول زينغو التخفيف عنها ؟. تقدم نحوهـا فاتحاً كلتـا يديـه ، حـاول الضحك وهو الـذي لا يعـرف معنـى الضحـك تقـدم منهـا متوسـلاً ... لا تخافي... أرجوك لا تخافي . كان سيقول لها :

- لا تصرخي ... إذا أردت نترك الأمر ... وإن شئت فاذهبي إلى بيت أهلك .

لم تفهم قصده . لأنها فقدت وعيها عندما شاهدته يقترب منها وتهاوت مثل كيس الطحين الفارغ.

ببرودة أعصاب راح زينغو يمسد رقبتها بلطف وحنان ، فخنقها ثم ضمها إلى صدره ونام معها حتى ساعات الصباح الأولى، بعدها غادر بيته قبل شروق الشمس .

بمرور أقل من أسبوع قتل حماه غير أن هذه الجناية لا تشبه مثيلاتها إطلاقاً . فقد قام بتقطيع جثته إرباً إرباً لينثرها على قارعة الطريق . كم كانت دهشة ورعب أهالي القرية في صباح اليوم الثاني عندما شاهدوا أذناً، وقدماً ، ويداً ، و .... منثورة هنا وهناك ..

من ثم قتل زينغو شقيقيه اللذين لم يكونا بقبحه وبشاعته ولم يكونا مرعبين .كذلك صب ليلاً الكاز على أخته وأضرم بها النار . تلك المسكينة التي لم تجد ملاذاً لها إلا أن تهرع باتجاه الجبل كي تنقذ نفسها ، فماتت متفحمة .

ذات ليلة . قتل أخاه الكبير ، وقطع جثته ليعلق قطعها على الأشجار. وهكذا ،لم يتوقف زينغو عن القتل خاصة بعدما أجهز على كل أقربائه غير مفرق بين كبير وصغير ، رجل أو امرأة .

عندما لا يُشفي غليله بالقتل يقوم بإحراق الجثة ...

كان يعيش في الجبال .وعندما شعر أن الخطر بات يهدده هـرب عـابراً الحدود .

ذات مرة ألقي القبض عليه. إلا أنه سرعان ما فر بعدما اخـترق جـدار السجن فاتحاً ثغرة فيه .

راح النـاس المحتشـدون يصفقـون عليـــه ويرجمونـــه بالحجــارة دون أن يتجرؤوا على الاقتراب منه .

أما زينغوفكان يمشي جاراً أثلامه و جنزيره ، مثل الجمل ، على صـدره حمالات الرصاص.وقدماه الضخمتان ترتطمان بالأرض كخفي الجمل .
القي بزينغو المجرد من سلاحه في إحدى زنزانات السجن .

بدأت محاكمته و لم يستطع توكيل محام عنه لأنه لا يملك النقود .
لم يكن أمامه إلا أن يبيع أراضيه الواسعة الشاسعة وبيوته وأطيانه كي يوكل محامياً ليدافع عنه . لكن ، عندما امتلـك الأمـوال الكثـيرة ، لم يجد محاميـاً. بسبب نفور وابتعاد الجميع منه . حتى لـو وجـد ، فمـا الفـائدة ؟ . وجميـع المحامين يعرفون تماماً أنهم عاجزون عــن إنقـاذه مـن حبـل المشـنقة . لذلـك كانوا يرفضون الدفاع عنه .

أخيراً وجد زينغو المحامي الذي سيترافع في قضيته . لذلك أعطاه الكثـير من المال .

كلهم كانوا يقولون أن زينغو سيقتل محاميه فيما لو فشل في الدفاع عنه وتخليصه من الإعدام ، سيقتله حتى لو هرب من السجن قبل تنفيـذ حكـم الإعدام ، أو في أروقة المحكمة . لأنه لو عقد العـزم علـى قتـل أحدهـم فإنـه

قاتله لا شك . فعشرة أشخاص ، خمسة عشر شخصاً لا يستطيعون منع شخص بضخامة الجمل مثل زينغو عن القيام بمثل ذلك .

زينغو كان واثقاً تماماً أن محاميه لن ينقذه من الإعدام فحسب ،بل من السجن أيضاً . لأنه دفع للمحامي أموالاً كثيرة ، لذلك فمن المفترض إنقاذه.

استمرت محاكمته فترات طويلة و أخيراً جاء دور مرافعة محامي الدفاع.. فالمحامي سيقف في مثل هذه الجلسة طال به الزمن أو قصر .

أخذ الجميع يهتفون بينما كان زينغو يدخل المحكمة محاطاً بعشرة مسلحين قائلين :

- لتمت يا زينغو .

- إلى الحبل إلى الحبل يا زينغو ..

فكوا وثاقه عن معصميه بعدما دخل برفقة مسلحين إلى صالة المحكمة .

الكلمة الآن لمحامي الدفاع !!!.

نهض المحامي ثم سعل سعلة مرتجفة ، واضح أنه خائف . لأنه في موقف لا يحسد عليه فمن المستحيل الدفاع عنه . فهو المذنب بالتأكيد.. قاتل حوالي عشرين شخصاً .طبعاً هذا المعروف . قد يكون هناك أكثر من ذلك من غير المعروفين .

لذلك ولتخليصه من جنايته ، دفع أمامه حجة جنونه وعدم مسؤوليته. لكن التقرير الطبي الذي صدر بعد المشاهدة الطبية أثبت سلامته عقلياً.

حقيقة ماذا عساه أن يقول وهولا يمتلك الكلمات والمفـردات الـتي سـيدافع عنه بها عنه.

مد يده المخفية داخل كم جبته الواسعة الجديدة مشيراً إلى القاضي ثم مدها ثانية نحو زينغو وقال :

- سـيدي الرئيـس ... السـادة المحـترمون أعضـاء هيئـة المحكمـة .. إن موكلي بريئ .. ولكي أستطيع إثبات براءته ، فـإني أرجـو مـن محكمتكـم الكريمة النظر إلى عينيه العطوفتين وإلى ناصيته النظيفة ، انظروا إلى موكلي المتهم بعناية لأنه بريئ مما نسب إليه من تهم ، هل يتهـم المـرء بسـبب هيئتـه الخارجية ؟. بالتأكيد لا ...

استمرت مرافعة المحامي حوالي الساعة . يتحدث بطريقـة مؤثـرة يرفـع صوته أحياناً ويخفته تارة أخرى وكأنه يعزف على آلة وترية .

جميع جهوده باءت بالفشل إذ أن مرافعته لم تؤثر علـى مجلـس المحكمـة ولا على المستمعين ، على كلٍ كان المحامي يعرف تماماً أنه لن يستطيع إنقاذ زينغو بذل كل جهده حتى يكون قد أدى واجبه ، وبهـذا تكـون الأمـوال الكثيرة التي قبضها حلالاً . الشخص الوحيد الذي تأثر من كلمات المحـامي وراح يبكي هو زينغو دموعه كانت تنسـاب مـن عينيـه الكبـيرتين . عندمـا نظر إلى محاميه حاول أن يصطنع ابتسامة .

تأجلت المحاكمة شهراً للنطق بالحكم . اقترب زينغو من محاميه عندما خرجوا من صالة المحكمة وقبل يده لأنـه الشـخص الوحيـد الـذي أشـاد بـه طوال حياته.

أرسل لمحاميه من سجنه خمسة آلاف ليرة أخرى وقبلها أرسل أموالاً كثيرة ومع ذلك ،كان يقول دائماً :

- حلال عليه ، حلال على محامٍ مثل هذا .

اتخذت المحكمة قرار الإعدام ... زينغو كان يضحك مسروراً ... زينغو تنازل عن كل أمواله لمحاميه .

بينما كانوا يأخذونه من غرفته إلى ساحة الإعدام لتنفيذ الحكم كان يقول ضاحكاً :

- حلال عليه ... حلال ، حلال على محامٍ مثل هذا ...

" برافـــو "

من أين لي بذلك الصديق الذي سيخرج مثل هذا المبلغ-من تحت سابع أرض ؟-. لذا ما وجدت أمامي إلا لململته استدانةًمن الأصدقاء ، مائتان ومن ذلك ثلاث مئة ، حتى استطعت تأمين كل المبلغ .

كتابي ينتظرني مطبوعاً جاهزاً في المطبعة وصاحب المطبعة يبحث عني بالسراج والفتيلة.

ذات مساء ، عدت إلى البيت . وحقيبتي ملأى بأكثر من ثلاثة آلاف ليرة بقليل . وكما قلت لكم ، جمعت هذا المبلغ قطرة قطرة يعني "شوي ، شوي " يعني المبلغ مؤلف من الخمسات والعشرات . وأكبر ورقة نقدية على ما أعتقد هي من فئة الخمسين ، لذا بدا المبلغ في حقيبة يدي ضخماً حتى أنني كنت أحملها بصعوبة بالغة.

في الصباح الباكر حشرت المبلغ الذي يدعو للخجل ثانية في حقيبة يدي ، ورحت متجهاً إلى المطبعة لاستلام الكتاب.

حقيبة يدي هذه ، ترافقني في حلي وترحالي منذ سنوات طويلة ، حتى أنها باتت لسان حالي وحافظة توازني . لدرجة أن توازني يختل و"ينتزع دوزاني " عندما لا تكون بيدي ، فتراني أمشي بشكل جانبي..

دخلت محطة المراكب النهرية . وهناك وجدت الكوة مغلقة ، قلت لأنتظر قليلاً ، جلست على المقعد بجانب النافذة واضعاً حقيبتي على حافتها مسنداً

رأسي عليها كي لا أنساها ، ومن ثم رحت أقرأ الصحف.

بعد فترة امتلأ البهو بالمسافرين وانفتحت جميع الأبواب ، واشتريت بدوري تذكرة ثم اتجهت صوب المركبة أثناء دخولي رحت أوزع التحيات يمنة ويسرة بسبب كثرة معارفي . وكما تعلمون فإن من يملك ثلاثة آلاف ليرة تكون تحيته بطعم آخر.

- مرحباً .
- مرحباً يا سيدي.
- صباح الخير يا سيدي
- صباح الخير.

طالما أني بدأت بشرح الموقف فقد وجب علي شرحه على "حبته" كما يقولون:

حال دخولي المركبة رحت أبحث عن مكان أشاطر سيدة جميلة جلستها، والله بذوق واحترام ونية طيبة، لا كما تفكرون .... وهكذا تكون عينا السيدة مسرورتين ، وعيناي كذلك .... إلا أني لم أفكر لحظتها أنها ستتذمر من مشاهدة منظري.

المهم في الأمر أن جميع الأماكن الواقعة أمام الجميلات محجوزة من قبل الفضوليين . ولم يبق لي سوى مكان واحد أمام امرأة قبيحة المنظر يا لحظي "المعتر " السيئ وكأنهم بذلك حجزوا لي هذا المكان خصيصاً لإغاظتي.

كم هي قبيحة هذه المرأة ، قبيحة لدرجة أنك لا تتجرأ على النظر إليها، تصوروا كم هي دميمة لدرجة أني أخفيت وجهي بالصحيفة التي

كانت بين يدي للحيلولة دون رؤيتها ومع ذلك لم أفلح، مباركة هي مخلوقة رب العالمين ، ليست امرأة ، لو شاهدتها مرة لن تنساها بالمرة....

لكن من يدري ؟.. الله وحده هو الذي يعرف إن كانت تفكر بي كما أفكر بها.

تلفت يمنة ويسرة ، ربما استطعت التخلص من هذه الورطة ، وإذ بي أشاهد"ـها " تجلس على مقعد خشبي في الجهة اليمنى . لكن عندما رأيتـ"ـها" قفز قلبي من مكانه وكأنه عصفور مربوط . لم أر"ها"منذ ثلاثة وعشرين عاماً ، الله يحميـ"ـها" من العين . ما شاء الله كم ازدادت جمالاً وبهاءً ، جميع المؤشرات تدل على أنها باتت زوجة أحد الكبار . فكما يقولون إن البعض يقطر من وجهه دماً ،لكن وجهـ"ـها " يقطر عسلاً وشهدا.

قبل كل شيء لا بد من تعريفكم بـ"ـها " هذه التي كانت في أحد الأيام فتاة صغيرة كرغب القطا ، لم أكن حبيبها،لكنها كانت حبيبتي ، لذلك كنت أكتوي بحرقة حبها . رغم أنها لم تبادلني الشعور نفسه ، حتى مجاملة ،أضعف الإيمان ، ولو مرة واحدة على أقل تقدير. فيما بعد وحسب العادات والتقاليد وعلى سنة الله ورسوله تقدمت لخطبتـ"ـها"، يومها عارضت أمـ"ـها" أمر الله قائلة " لا فتاة لدي لشاب لا مستقبل له " فضحتني في الحي لعنها الله.

إذاً "هي " ؟! ... نعم "هي " تلك الجالسة على يميني . نظرت إلى مقصورتها وجدتها تتسع لخمسة أشخاص بينما عدد الجالسين أربعة ،

فانسحبت فوراً من أمام تلك القبيحة لأقترب من الرجل السمين الجانس بقربها مستأذناً بالجلوس:

- أتسمح لي بالجلوس؟!..

وهكذا جلست قربـ"ـها "

- كيف حالك يا سيدتي ؟.

- أشكرك ، كيف حالك أنت ؟ .

يا إلهي مازالت متكبرة ومتعجرفة .

- ميرسي ، أعرفتني؟.

- آه ه ه !! .. أيعقل ذلك .. طبعاً عرفت .

عندما كانت صغيرة لم تسايرني بتاتاً و لم تجاملني بالكلام حتى . بينما أساءت إلي أمها بقولها لا فتاة لدي لشاب لا مستقبل له لذلك فقد آن أوان الانتقام منها سأجعلها تقول " كم كنت مخطئة لعدم زواجي منك".

خاصة وأنني أصبحت كاتباً مشهوراً ومعروفاً من قبل الجميع وإذ بها تسألني أثناء شرودي:

- ماذا تعمل ؟.

صعقني هذا السؤال . فقلت بيني وبين نفسي:

تفوه ه على هذه الحياة ،حبيبة الكاتب القديمة . لا تعرف أنه كاتب مرموق ؟ .

ومع ذلك كابرت على نفسي وبلعتها لأقول لها:

- كاتب يا سيدتي.

صعقتني ثانية عندما قالت وهي تيأيء بفمها قائلة:

- أيي ،أي ، ألم تجد عملاً أفضل من ذلك يا مسكين ؟.

- هل أنت متزوجة ، أم ما زلت عزباء .. ؟.

- نعم متزوجة ... وأنت ؟

وكأنها فهمت قصدي لذلك راحت تجاريني بالأسئلة.

أجبتها بأسلوب أقرب ما يكون إلى التباهي:

- نعم . الديك أطفال ؟.

- نعم.

لكن كم كنت أنتظر إجابتها بالنفي لأقول لها متبجحاً أما أنا فلدي أولاد.

- كم ولداً ؟.

- خمسة بعيون الشيطان.

وهكذا خذلتني للمرة الثانية ، عندما أجابتني على سؤالي قائلة :

- لدي أربعة أولاد ثم أردفت قائلة : لم لا تقول ماشا ء الله ؟ .

- ما شاء الله .

- ومن هو زوجك ؟ .

تجاهلته تماماً عندما تفوهت باسم زوجها . فهو مشهور ومعروف، غالبية السكان يعرفونه ومع ذلك ولكي أغيظها كما أغاظتني عندما سألتني عن عملي قلت لها:

- وماذا يعمل زوجك؟.

- آه .. أنه في أوروبا الآن .

لويت حنكي ،و بشكل رومانتيكي قلت لها : هل أنت سعيدة معه؟.

آه لو أفصحت عن تعاستها معه لقمت من مكـاني و" خلعـت رقصـة" لم يشاهدها أحد بحياته لكنها خيبت آمالي عندما ردت علي قائلة

- وأية سعادة ! ... لا توصف.

ماذا يمكنني أن أنتظر من هذه المرأة ، عديمة الإحسـاس ، لا احـترام ولا تقدير ، تتمتع بكل هذه الصفات و لا تكون سعيدة ؟.

- هل أنت سعيد بحياتك الزوجية ؟.

- أوهـوه ه ه وأية سعادة ؟ لا توصف..

عفواً ... هل تعرضت لحادث ؟.

- استغفر اللـه ! إجابة غير موفقة ، أعرف ذلك إلا أنني فوجئت بهـذا السؤال لذلك ما وجدت نفسي إلا متفوها بهذه العبارة .

نهضت مثل الملطوم ورحت أصرخ :

- يوه ... لقد انتهيت ..

نعم انتهيت لأنني أعرف نفسي لا أمشـي بشـكل مـائل إلا إذا نسـيت حقيبتي .

لذلك رحت أزعق و أنط مثل الممسوس :

- انتهيت ... احترقت ... أيواه انتهيت .

أما تلك الملعونة فراحت تحاول إخفـاء ضحكتهـا ، بينمـا راح الجميـع يضحكون ويقهقهون ..

كيف لا وأنا الذي كنت أسألها عن سعادتها وما شابه ذلك فإذا بي أركض و أصرخ كالملدوغ .

اتجهت نحو تلك القبيحة لأسألها :

- سيدتي هل تركت حقيبتي هنا عندما جلست ؟ .

لم تستطع المسكينة الإجابة من شدة الضحك .

فما كان أمامي إلا أن أركض بالاتجاه المعاكس تارة ، وبالاتجاه الآخر تارة أخرى ، وأنا أصرخ :

- لقد انتهيت ... احترقت ! ..

سألني أحدهم " ما بك يا سيدي ؟.. هل أصابك مكروه ؟! ..

- فقدت نقودي .

لا أدري هل وقعتم بمثل هذه الورطة من قبل ؟ .. تصوروا إنساناً ينسى سذاجته وحماقته بمثل هذا الموقف ويترك العنان لضحكته ! ..

صرخت بأعلى صوتي " سرقوا نقودي ..

سألتني و " هي " تقهقه ضاحكة :

- وكم المبلغ ؟ .

- ثلاثة آلاف ليرة ..

- يوه !!! .. أتعتبره مبلغاً يحزن عليه ... يا مسكين .. أيعقل أن يتصرف المرء هكذا من أجل ثلاثة آلاف ليرة ؟ ..

- لا يا سيدتي .. ثلاثة آلاف ومعهم عشرة آلاف ليرة ..

لا رحمة ولا شفقة .. لقد سرقوا نقودي واخترب بيتي بينما هم مغرقون في الضحك .. لو كان في قلبهم شفقة ورحمة لأشفقوا علي ، وتصدوا للأمر . وقاموا بتجميع المبلغ فيما بينهم ...

آه ما هذا الحظ السيء ، حاولت إغاظتها فظهرت أمامها بموقف سخيف .

سألني أحد المسافرين قائلاً :

- هل سحب المبلغ من جيبك ؟ .

- لا ، من حقيبة يدي .

- ألا يمكن أنك نسيت الحقيبة في مكان ما ؟.

صعقتني تلك العبارة وأعادت رشدي إلي فهرعت راكضاً و أنا أصرخ.

أثناء ذلك ، كانت المركبة تتأهب للانطلاق بعدما رفعوا المرساة وسحبوا السلم المتحرك .

- احذر ستسقط .

- توقف ...

- لا تقفز يا مجنون .. ماذا تفعل ؟ ..

لكن هيهات هيهات ، من يستمع لهذه الترهات ، قلت ياللـه وقفزت، و أية قفزة ، أستحق عليها تسجيل رقم قياسي في أطول قفزة، لا لم أقفز بل طرت إلى الجانب الآخر جاعلاً من كلتا يدي جناحين . عندما لا مست قدماي الأرض رحت أركض صارخاً بأعلى صوتي، -حقيبتي ، حقيبتي .

نظرت من بعيد حيث تركتها فلم أجدها ، تابعت صراخي :

- يا ناس ، يا عالم ، يا هوه حقيبتي .. من رأى حقيبتي ...

سألني طفل يعمل بائع صحف :

- وما شكل حقيبتك يا عم ؟ .

- وكيف ستكون هاه ؟.. حقيبة يد مثل كل الحقائب .

- أجديدة هي ؟.

- آه ... مجددة

- ما لونها ؟.

- بنية .

- أكبيرة أم صغيرة ؟.

- لا متوسطة .

- والله لم أرها يا عم .

- روح الله يسامحك .

حقيبتي ... حقيبتي ..

سمعت أحدهم يقول " أنا رأيتها "، أخذها ذلك الحمال الذي رفع المرساة .

- متى أخذها ؟ .

لم أنتظر إجابته، رحت أصرخ بأعلى صوتي ..

- أين أنت يا حمال ؟ .

ثانية سمعت أحدهم يقول :

- أعطاها لمسؤول السلالم .

وهنا ارتحت قليلاً :

- وأين هو ؟ .

- الحقيبة ؟ . وهل هي حقيبتك ؟ .

- نعم حقيبتي .

- سلمها لرئيس الصالة .

- و أين هو رئيس الصالة ؟ .

- شاهدته يسلمها لرئيس مخفر الشرطة .

- لمخفر الشرطة ؟ !! ..

رحت أركض مخترقاً الجموع كالسهم ، وكأن قلبي يحاول الخروج من فمي كعصفور حبيس .. رحت أقفز كل أربع أو خمس درجات دفعة واحدة .. فتحت أول باب صادفته وإذا بطبيب يلقح طفلاً سألته :

- حقيبتي ؟ .

- ما بها ؟ .

- فقدتها ؟.

- متى ؟ .

- لم كل هذه الأسئلة ؟ .. قل أين هي ؟ .

- هنا مستوصف البلدية اصعد وابحث عنها في الأعلى .

رحت أفتح كل الأبواب . وأخير ، وصلت إلى المخفر . فتحت الباب فإذا أربعة من رجال الشرطة ، صرخت بأعلى صوتي : أين حقيبتي ؟.

أجابني أحدهم :

- أية حقيبة يا هذا ؟.

- الحقيبة التي وجدها رئيس الصالة وقام بتسليمها لكم ؟.

- آخ !.. أسأل رئيس المخفر ، فهو في الغرفة المجاورة .

فتحت باب الغرفة بطريقة تجعل كل من داخلها يرفع يداه مستسلماً .

النقود مبعثرة على الطاولة بدت وكأنها ثلاث مئة ألف ليرة . وبجانبها الحقيبة . أما في الغرفة و إضافة لرئيس المخفر كان أحد الضباط ورئيس الصالة ومسؤول السلالم . والجميع منهمك في عد النقود .

قلت لهم هذه حقيبتي ، وهذه نقودي ... نسيتها في الصالة .

سألني رئيس المخفر :

- كيف نتأكد أن هذه الحقيبة هي حقيبتك والنقود نقودك هاه؟!!.

- سأثبت لكم بطريقة لن يجاريني عليها أحد ، وبذلك لن يدعي أحد ملكيتها .. هناك داخل الحقيبة ورقة مكتوبة أخرجوها من فضلكم.

سحب رئيس المخفر الورقة والتي حضرتها كي أسلمها لإحدى الصحف .

- والآن سأحاول تلاوة مضمونها عن ظهر قلب .

أمسك رئيس المخفر الورقة بشكل جيد كي يتابع ما سأقرأ.

- العنوان . الحكومة على خطأ .

ردد رئيس المخفر :

- نعم ... "مع ذلك عمل على تقريب الورقة من عينيه أكثر ليتأكد من صحة ما قلت " . الحكومة على خطأ .. تابع .

- ألا يكفي يا سيدي .. ماذا تريدون بعد ؟..

- لا يا هذا .. الجميع يستطيع أن يقول ما قلت ... هيا تابع .

رحت أتلو عليه ما علق في ذاكرتي من تلك المقالة :

- أثناء الحكم البائد كان المساجين يضربون بقسوة ، لكن مع وصول رموز الديمقراطية إلى السلطة استبشرنا خيراً ، وتوقعنا أن يرفع الضرب من السجون ، أما ما حصل فإن المساجين مازالوا يواجهون الضرب .. أليس كذلك يا سيدي ؟.

- نعم .. تمام .. صحيح .

- أليس دقيقاً ما قلته حتى الآن ؟.

- ليس تماماً .. على كل هناك خربطة بالكلمات . أنت قلت أن المساجين يضربون في السجون .

- أليس كذلك ؟.

- يا أخي أنت كتبت أنه في السجون ، السجناء يضربون ، لذلك كان عليك تقديم المساجين على السجون ، على كلٍ لا يهم ..

- إذاً تيقنتم أنها حقيبتي .

- يوه ه ه .. تابع .. كل واحد يستطيع أن يقول ما قلت .

هكذا رحت أتابع ما بدأت وبين الفينة والأخرى أسمع رئيس المخفر يقول " نعم " أيوه " " تابع " . يقولها بطريقة خاصة جداً .

- أليس كذلك يا سيدي ؟.

أجابني وهو يزعق بأعلى صوته مستدركاً :

- ماذا ؟! ... بالطبع لا ...

- أقصد يا سيدي ألم يتطابق ما قلته بما كُتِب ؟..

راحت الأمور تتعقد أكثر فأكثر حتى شعرت وكأن قدمي قادتاني إلى هلاكي . بذلك وبسهولة يستطيعون كتابة الضبط اللازم مبينين فيه أنني أشتم الحكومة ، ومن ثم يقدمونني إلى المحكمة .

تابعت القراءة حتى النهاية ثم قلت له :

- أتيقنتم الآن ملكيتي للحقيبة ؟.

- نعم " ثم التفت إلى الضابط وقال له : سلموه الحقيبة بمحتوياتها بعد إجراء اللازم ".

خرجنا من غرفة رئيس المخفر لإعداد الضبط اللازم في الغرفة المجاورة . وهناك راح الشرطي يرقن على الآلة الكاتبة . بينما التم رئيس الصالة وذلك المسؤول عن السلالم حول رأسي .. تساءلت " ماذا ينتظران ؟.." لقد وجدا الحقيبة وقاما بتسليمها للسلطات .. ماذا بعد؟.. إن وقوفهما بهذا الشكل وتر أعصابي ، كم أدفع لهما استحساناً لما فعلا ؟..أساساً المسؤول عن السلالم هو من وجد الحقيبة . لذلك سأعطيه مئة ليرة . أما رئيس الصالة فسأعطيه خمسين ليرة ... لا معيب... يبقى رئيس صالة ومرتبته أعلى ، لذلك سأعطيه مئة ليرة أيضاً .. لكن من أين لي هذا المبلغ ؟.. سأقول لهما إني استدنت المبلغ .. لكن ماذا لو لم يسلما الحقيبة لمخفر الشرطة ؟... حسناً سأدفع لهما مئتي ليرة على " البارد المستريح " فهذه ضريبة الغباء والحماقة ... لكن لم يقفان بهذا الشكل وماذا ينتظران أكثر

من ذلك ؟ .. سأدفع لهما مئتي ليرة على الرغـم مـن معرفـتي أن هـذا المبلـغ ضئيل . كذلك سأنشر إعلاناً في الصحف أشكر لهما أمانتهما .

لكن بالله عليكم ألن يصقوا بوجهي فيما لـو نشـر الإعـلان . ومـاذا سيقولون ؟ .

من أين لهم أن يعرفوا أني جمعـت هـذا المبلـغ . أليـس مـن الأفضـل أن أعطيهما ثلاث مئة ليرة ؟.

في هذه اللحظات التي غبت فيها مع نفسي كان الضبط جاهزاً ، طلبوا بطاقتي الشخصية قلت لهم" ليست معي ".

-بدونها لن نسلمك الحقيبة .

- لم ؟.

- ماذا لو أتى أحدهم مدعياً أنها حقيبته ..آه ؟.

- هذا يعني أنه لو كانت بطاقتي معـي فلـن يـأتي هـذا الأحدهـم ولـن يدعي ملكيته لحقيبتي أليس كذلك ؟.

- نعم كلامك صحيح لكن نود أن نعرف لمن سلمنا الحقيبة وأنـت لا تحمل ما يثبت شخصيتك .

- يا جماعه أنـا مستعجل وهـذه الحقيبـة لـن تكـون لغـيري و لا أحـد يستطيع تقديم العلامة التي قدمتها ! ..

- صحيح ، نثق بذلك .. لكن ..

تمر الساعات ، غـادر مسؤول السـلالم ، أمـا رئيـس الصالـة فمـا زال منحنياً فوق رأسي .

استشاروا رئيس المخفر لحل المشكلة فأمرهم بتسليمي الحقيبة قائلاً:

- أعطوه .. لن يكون غيره صاحب الحقيبة .

تدخل رئيس الصالة معترضاً :

- لا يجوز يا سيدي .

- وما دخلك أنت في الموضوع يا أفندي هاه ؟. قمتم بواجبكم بتسليم الحقيبة المفقودة و انتهى دوركم .

- لا يجوز يا سيدي لن أتحمل مسؤوليتها .

- ولك أية مسؤولية ؟ !! ...

هكذا رحنا أنا ورجال الشرطة نستجدي صاحبنا لحل المشكلة و إعادة الحقيبة .

وعندما طفح بهم الكيل قالوا له :

- وما العمل ؟ ..

أجاب :

- سأتصل بالمدير و أستشيره ..

هاه !! ... الآن فهمت القصد يريد أن يعلم مديره مظهراً أمانته وبذلك سيوجه له الثناء على جميل صنيعه ... هذا يعني أن كل هذه المشاكل لهذا السبب . لكن هو الخاسر ، لولا عناده لقبض "الحلوان" . و قرأ معلمه ما قام به في الصحف أليس ذلك أفضل ؟ ..

هنا ضحكت وقلت لهم لن أستلم الحقيبة ، سأعود غداً مصطحباً معي بطاقتي الشخصية ، وأنت هيا اتصل بمديرك وقل إنك وجدت مبلغاً من المال وقمت بتسليمه للشرطة ليقولوا لك " برافو " ..

استلمت الحقيبة في اليوم التالي ..

ومنذ ذلك اليوم أحده يوشوش أصدقاءه عندما يراني ، حتى أن أحد الأصدقاء قال لي ذات مرة :

- كم معيب ما فعلت ! ..

- وماذا فعلت ؟ ..

- فقدت حقيبتك وفيها ثلاثمئة ألف ليرة ولم تعط من وجدها ثلاثاً وعشرين ليرة على أقل تقدير ..

قلت له :

- لا ، لن أعطيه ، لأن الشخص الذي وجد مثل هذا المبلغ يجب أن يعطى ستمئة ألف ليرة .. أما أنا و للأسف الشديد لا أمتلك مثل هذا المبلغ .

نظرية الحمار

ماذا بوسع العاطل عن العمل القيام به ؟لا صوت جميل كي يصبح مغنياً ولا قدمان قويتان كي يكون لاعب كرة قدم . إذن لم يبق أمامه سوى إمكانية واحدة ، أن يصبح كاتباً . وكما تعرفون فإن كل من أمسك قلماً بين إبهامه وسبابته ووسطاه يصبح كاتباً . أما من لا يستطيع فيصبح مشرفاً عاماً على مناهل المياه العامة في البلد .

وهكذا ، أصبحت كاتباً . رغم ذلك قمت بنشر الإعلان التالي في الصحف: " مدرس متخصص بمادة الرياضيات مستعد لإعطاء الدروس الخاصة والإعداد للامتحانات "

قد تستشفون فوراً من هذا الإعلان مدى ذكائي ، هذا إذا ما حباكم الله بجزء منه . وكما تعلمون فإن مادة الرياضيات مادة غير مستساغة ، كالملح الإنكليزي أو زيت الخروع .

أعرف ذلك من أيام الدراسة ، فهي سبب فشلي ، فكثيراً ما كنت أرسب بها في السنة الأولى و أتجاوزها استكمالاً في السنة الثانية .

ولعل هذا هو السبب الذي دفعني لاعتبارها تجارة رائجة هذه الأيام . نعم ! أنا محق بما اخترت . وهكذا بدأت المراجعات ، أول القادمين كان بهلواناً من بهلوانات المصارعة .

راح يتفحصني من قمة رأسي حتى أخمص قدمي . حتى حذائي المتفتق من الجانبين لم يفلت من ذلك وعندما نظر إلى ثيابي المهلهلة البالية رمقني بنظرة استخفاف موقناً أن لا علاقة لي بالحساب لا من قريب ولا من بعيد لذلك _ على ما أظن _ سألني قائلاً :

- من أنت ؟!! مدرس حساب هاه ؟!! .

أجبته بثقة :

- نعم .

- كم عمرك ؟.

- ثلاثون سنة .

- أمتزوج أنت ، أم عازب، أم أرمل هاه قل لي ؟

أثارت هذه الأسئلة غضبي فقلت له :

- لم كل هذه الأسئلة ؟ مالك و لعمري أو حالتي ! إذا كنت راغباً بالدراسة أهلاً وسهلاً وإلا فأرني عرض كتفيك .

- طول بالك يا أخي ، لم الغضب ؟ ، لست أنا من ستدرسه ، بل ابنتي ،تصور ! ، أربعة مدرسين خاصين حتى الآن وجميعهم كانوا يضمرون السوء لابنتي ويحاولون مشاكستها .

- لا يا سيدي لست من هذا النوع .

وهكذا اتفقت مع السيد حلب النصيب على أن تكون أجرة الساعة خمسين ليرة .

في اليوم الثاني رحت إلىمنزلهم وهنـاك التقيت بـه وبزوجتـه .وبعدمـا رحبا بي قالت الزوجة :

ابنتنا صغيرة السن لكـن ، مـا شـاء اللـه تبـدو لناظرهـا أنهـا تجـاوزت العشرين وكما تعرف ، في أيامنا هذه من الصعوبة بمكان تربية الفتيات، لذا رعيناها كزهرة كل شبر بندر.

بينما أردف زوجها متابعاً الحديث :

- شرفي وكرامتي يـا أستاذ ،رأسمـالي في هـذه الحيـاة وأنـا أعيـش مـن أجلهمـا فكـأن هـؤلاء يتعمـدون إيقـاعي بمصيبـة بسـبب مـا يضمـرون في أنفسهم .. لذلك ، يا أخي ، من فضلك علمها أنت.

- تكرم ، على رأسي و عيني .

وهنا نادى وكأنه يطلق مرشاً عسكرياً :

- بيراي ي ي ي .

دخلت الفتاة ، اللـه اللـه ، أية فتاة ! ، شعر مصبوغ ومموج .. أظـافر طويلـة مطليـة "بـالمنيكور" وكـأن الطـلاء سيقطر منهـا ، ألقـت التحيـة وجلست واضعـة رجـلاً فـوق أخـرى . خجلـت كثيراً ، لذلـك أشـحت بوجهي إلى الجانب الآخر .

- في أي صف أنت ؟.

- الثاني الإعدادي .إلا أنني أشعر بضعف في الرياضيات .

وهنا تدخل الأب قائلاً :

- قولي له ما ذلك الموضوع الذي لا تعرفينه كلما سألك الأستاذ؟.

- نظرية الحمار يا أبي .

ثم التفتت نحوي لتتابع ما بدأت به :

- ما أشد عنادهم يا أستاذ تصور ثلاث سنوات وهم يسألونني حول نفس الموضوع " نظرية الحمار "

آه كم هو حمار ذلك الذي لم يستطع استيعاب نظرية الحمار في ثلاث سنوات ! .

- ساعدها يابني في استيعاب نظرية الحمار .

دخلنا غرفتها .وهناك قالت لي تلك التي رعتها أمها كزهرة يانعة كل شبر بندر:

- هل أصلح أن أكون نجمة سينمائية ؟. أنا لا أهتم لا بالرياضيات ولا بالمياضيات ، كل همي هو إنهاء المرحلة الإعدادية . لقد مللت من إلحاح أبي ، فساعدني في استيعاب نظرية الحمار وكفى .

ليعم الله عيني هذه النظرية فهي التي كانت سبب فشلي في هذه المادة.

- أين كتابك ؟.

زمت شفتيها مستهجنة سؤالي:

- الكتاب ؟!.

ثم راحت تبحث متذمرة بين كومة من المجلات الملونة والروايات المبعثرة .

- أوف ف ف . . . . لم أجده .

طلبت منها الكتاب ظناً مني أنها راغبة في التعلـم ..لكـن للأسـف!!. ياللـه ! هكذا أحسن ..

- ماذا تقول هل أصلح أن أكون نجمة سينمائية ؟.

- نعم تصلحين .

وهكذا مر الـدرس الأول حـول السينما . أمـا في الـدرس الثـاني فقـد كنتُ أكثر استعداداً حتى أني حفظت نظرية الحمار عن ظهر قلب .

دخلنا غرفتها . أغلقت الباب وراءهـا بعدمـا وضعـت المفتـاح في قفـل الباب .

- ولك ! .. ماذا تفعلين؟.

- أعرف والدي جيداً غيرته ستدفعه للتلصص من ثقـب خـرم البـاب. أربعة مدرسين كادوا أن يُقتلـوا بـين يديـه لـولا تدخـل الجيران في اللحظـة الأخيرة .

بعدما سمعت ما سمعت راحت قدمـاي ترتجفـان مـن شـدة الخـوف.. ورغم ذلك بدأت بجدية بالغة :

- درسنا اليوم نظرية الحمار

في المثلث القائم ....

لا أذكر تماماً في الدرس الخامس أو السادس عندما جلست بيراي في حضني .

استغربت كثيراً وهمست في أذنها :

- ولك ماذا لو فتح أبوك الباب ؟!.

أجابت واثقة :

– لا تخش .. لن يفتح الباب بل سيتنصت . لذلك قل لي ما ترغب قوله همساً بينما تشرح لي نظرية الحمار جهراً والآن أتحبني ؟.

وهكذا رحت أهمس في أذنها "أنا أحبك "وبصوت عال في المثلث القائم " وبصوت منخفض أمه _ هذه القبلة لا علاقة لها بالعلم_ أنت لا تحبني قبلتك باردة " وبصوت أعلى " مربع الوتر"بصوت منخفض " أنا!!" بصوت أشبه بالصراخ يساوي " بصوت منخفض أمه...

لم أر فتاة جنسية مثلها في حياتي آه لو لم تكن نظرية الحمار لبقيت حماراً طوال حياتي ، ولرحلت عنها مثل الحمار أيضاً وهكذا استمرت دروسنا لمدة ثلاثة أشهر ، في البداية كانت ثلاث مرات أسبوعياً وفيما بعد أصبحت يوميا .

ذات يوم حضر بعض الضيوف .

نصيب بك كان سيطير ويطيرنا معه فرحاً ، لنجاح ابنته في استيعاب نظرية الحمار

لذلك راح يقول لهم :

– يا جماعة .. أية نظرية وأي حمار .

ردت عليه بيراي قائلة :

– أتظن أنها سهلة يا أبي ؟ بالعكس إنها معقدة .

هذه الفتاة بيراي كانت تعرف أدق التفاصيل عن الفنانين والفنانات ، حياتهم الشخصية ، عشقهم... إلا أنها لم تستطع استيعاب نظرية الحمار .

رد أبوها قائلاً :

– طبعاً سهلة ..حتى أنني حفظتها بصماً .

وكما تبين أن نصيب بك كان يتلصص علينا طيلة الأشهر الثلاث حتى حفظ نظرية الحمار لكن كيف حفظها ؟.. لا تسألوا .. تماما كما كان يسمع . وهكذا راح يكررها على مسامعهم :

– في المثلث القائم .. والله أحبك .. مربع الوتر .. أمموب .. اخفضي صوتك سيسمعنا أبوك .. يساوي مجموع .. أحبك كثيراً .. مربعي الضلعين القائمين .

فهم الجميع الموقف لذلك راحوا يقهقهون من شدة الضحك بينما التفت نصيب بك إلي سائلاً :

– هاه قل لي بالله عليك هل حفظتها أم لا ؟.

– نعم حفظتها بشكل رائع ، زيادة بلا نقصان .

لكن والله لو تابعت دروسي في نظرية الحمار* لكنت أوسعت ضرباً لحين عودة الحمار من النبع محملاً بالماء ، أو لكنا اكتشفنا أنا وبيراي نظرية جديدة أسميناها نظرية الكرّة .

نظرية الحمار : التسمية القديمة لنظرية فيثاغورث الرياضية الشهيرة . حتى أن بعضهم أسماها عكاز التنابلة / المترجم

الفهرس

من صادرات دار علاء الدين

* آرام دمشق واسرائيل
.... فراس السواح
* بدايات الحضارة
.... فراس السواح
* تشريعات بابلية
.... عبد الحكيم الذنون
* جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة
.... فراس السواح
* الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم
.... فراس السواح
* دين الإنسان
.... فراس السواح
* الديانة الفرعونية
.... واليس بدج
* سويداء سورية موسوعة شاملة
.... مجموعة من المؤلفين
* لغز عشتار
.... فراس السواح
* مغامرة العقل الأولى
.... فراس السواح
* موسوعة تاريخ القفقاس والجركس
.... محمد جمال صادق
* شريعة حمورابي
.... ت. أسامة سراس

* طقوس الجنس المقدس
.... إينانا ودوموزي
* الجنس في العالم القديم
.... بول فريشاور
* الشركس في فجر التاريخ
.... برزج سمكوغ
* المراحل التاريخية لتطور النظام الاداري في سورية
.... د. دنحو داوود
* البلدان النامية ـ مشكلات العلاقات الاقتصادية
.... ت.د. ماجد علاء الدين
* الأمثال الشعبية الفلسطينية
.... فوزي حمد قديح
* الحسين بن منصور الحلاج
.... سمير السعيدي
* المسرح السياسي في سورية
.... د. غسان غنيم
* أعلى قمم الحب
.... الفاتح الجزولي
* تدمر وروما
.... محفوظ أيوب
* الرواية التونسية حتى عام ١٩٨٥
.... ك.ك.لومونوف
* مذكرة امرأة
.... روشن بدرخان



عزيـــز نســـين ، في كل واحدة من قصصه ، يـقدم لـنا كشفاً إنسانيــاً جديــداً ، ويـقدم ضوءاً بــاهراً يـنير بعض جوانب القبو الإنساني المعتم ..هنا حيـــث تحتشـــد الأســـرار البشريــة وتتخبأ ..

.. قد ينسـى الـقارئ عناويـن قصص عزيـز نسـين .

قد يـــنســــى أحداثها ووقائعها .

قد تتســرب من الــذاكرة بــعض الــنماذج

الــبشريــة .. لـكن خفة ظل نسـين وبراعته المذهلة في القص ، والأخذ بـيـد الـقارئ ، في دروب مدهشة .. لايمـكن أن تنســى .

نصر الدين البحرة

Kr75.00

يطلب الكتاب على العنوان التالي :
دار علاء الدين للنشر والتوزيع
دمشق - ص.ب ٣٠٥٩٨ - هاتف ٥٦١٧٠٧١ - فاكس ٥٦١٣٢٤١